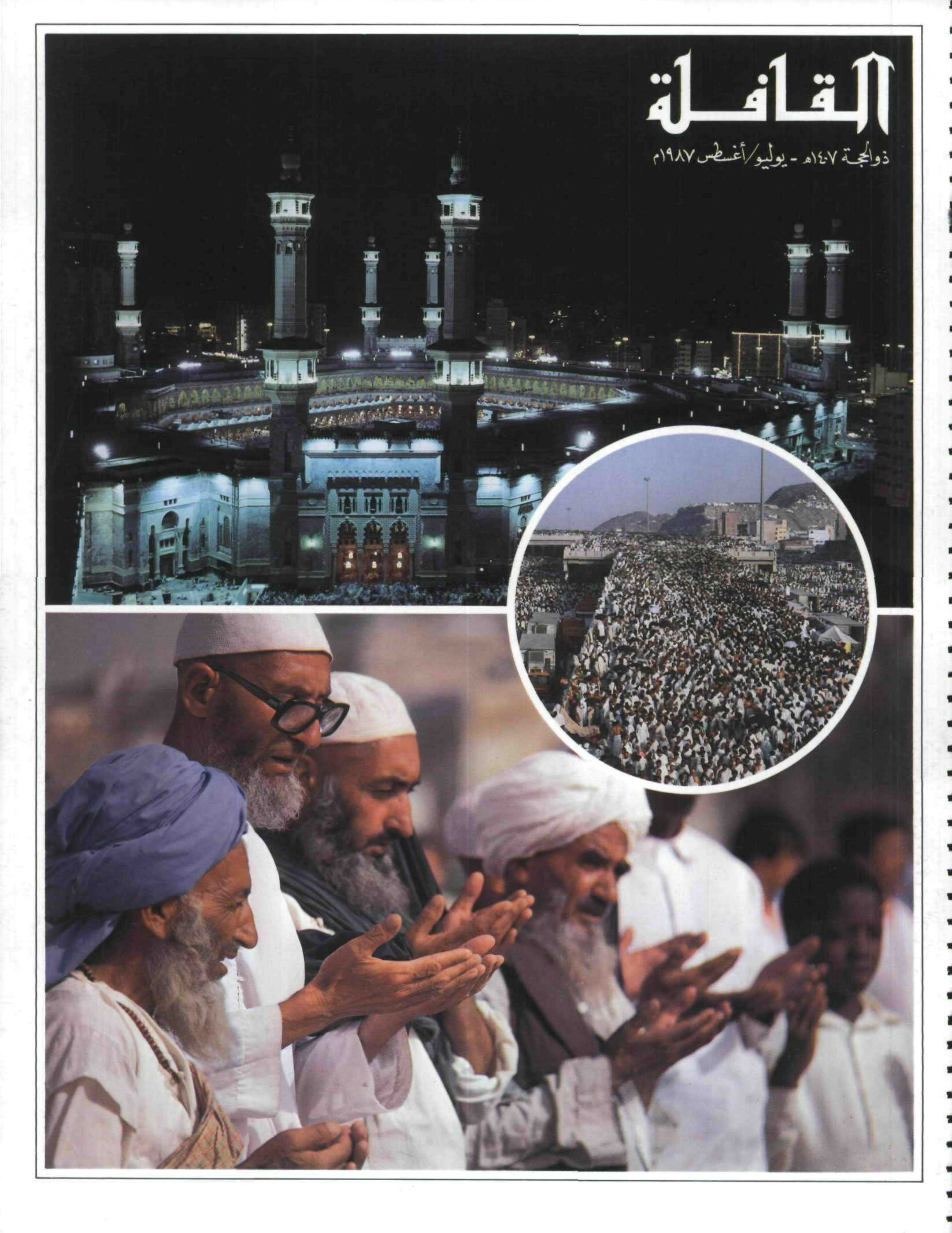

القافلة
ذوالحجة ١٤٠٧هـ - يوليو/أغسطس ١٩٨٧م

بسم الله الرحمن الرحيم


# القافلة

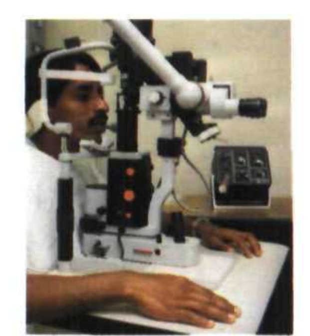
THE CARAVAN - JULY/AUG.1987

ذو الحجة ١٤٠٧هـ - يوليو/أغسطس ١٩٨٧م
العدد الثاني عشر/المجلد الخامس والثلاثون

مجلة ثقافية
تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة

توزع مجاناً

المدير العام: فيصل محمد البسام
المدير المسؤول: اسماعيل ابراهيم نواب
رئيس التحرير: عبدالله حسين الغامدي
المحرر المساعد: عوني أبوكشك



أشعة ليزر .. الضوء الشافي


الدفاع المدني في المملكة


على هامش المؤتمر الثالث لرجال الأعمال السعوديين




- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.
- كل ما ينشر في "القافلة" يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ولا يعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها.
- يجوز اعادة نشر المواضيع التي تظهر في القافلة دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل القافلة إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها.

العنوان
صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - ٣١٣١١
المملكة العربية السعودية

تصميم وطباعة شركة مطابع المطوع - الدمام
DESIGNED AND PRINTED BY AL-MUTAWA PRESS CO DAMMAM

# عيد مبارك

إنه لمن دواعي غبطتي أن أغتنم فرصة حلول عيد الأضحى المبارك لأقدم لزملائي المسلمين من موظفي شركة أرامكو وأفراد عائلاتهم أخلص التهاني وأطيب التمنيات ، ضارعاً إلى المولى القدير أن يعيده عليهم جميعاً بالخير والبركات . وكل عام وأنتم بخير .

جان ج . كلبرر

رئيس مجلس الادارة

# كل عام وأنتم بخير

يطيب لهيئة تحرير "القافلة" أن تنتهز هذه المناسبة السعيدة لترفع إلى مقام خادم الحرمين الشريفين وولي عهده الأمين وإلى حجاج بيت الله الحرام وإلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وإلى قرائها الكرام أخلص التهاني وأسمى الأماني داعية الباري جل وعلا أن يعيد أمثاله عليهم بالخير واليمن والبركات .

هيئة التحرير



# خطبة عرفة وحكمة الحج

بقلم: د. محمّد علي الهرفي / الدمام

يتحدث المسلمون هذه الأيام عن الحج، اذ هو الشغل الشاغل لهم، فهو الركن الخامس من أركان دينهم العظيم، كما أنه فُرض على القادر منهم، ولا يتم ايمان المرء الا بالقيام به ﴿**ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا**﴾.

والرسول، عليه الصلاة والسلام، حج مرة واحدة، وسميت هذه الحجة بـ«حجة الوداع» وكانت في السنة العاشرة من الهجرة النبوية...

وفي هذه الحجة قرر الرسول، صلى الله عليه وسلم، كثيرا من المبادىء الاسلامية التي أعطاها صفة الثبات والاستمرار الى يوم القيامة لأن مصالح المسلمين مرتبطة بهذه القيم ولا يمكن لمجتمعهم أن يقوم الا بالالتزام بتلك المبادىء العظيمة التي دعا اليها الرسول في حجته المباركة.

وقد جاءت تلك التعليمات، في خطبة عرفة، اذ وقف الرسول في جموع المسلمين خطيبا في اليوم التاسع من شهر ذي الحجة في السنة العاشرة للهجرة، وقد حوت هذه الخطبة كثيرا من القيم التي فاقت كل حضارات الجاهلية قديمها وحديثها، وكانت ولا زالت منارا يهتدي به السائرون في هذه الحياة، والباحثون عن السعادة الحقيقية، في دنياهم واخراهم.

وأول شيء قرره الرسول حرمة دماء المسلمين، فدم المسلم حرام على المسلم الا اذا فعل فعلا يستوجب عليه القتل بحكم شرعي... قال الرسول: «**ان دماءكم واموالكم حرام عليكم الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، الا هل بلغت؟؟ اللهم فاشهد**». ولو اتبع المسلمون اليوم أوامر رسولهم لما قتل بعضهم بعضا، ولو اتبعوا اوامره كذلك لما سكتوا وهم يرون اخوة لهم في الدين يقتلون في كل مكان ولقدموا لهم ما يستطيعونه من مساعدات...

واشار الرسول ﷺ في خطبته كذلك الى أهمية الأمانة، وعظم مسؤوليتها وحرم ربا الجاهلية، وكل ربا آخر على غراره الى يوم القيامة ذلك أن شروط المجتمع المسلم أن يكون متكاملا متعاونا يبتعد افراده من استغلال بعضهم بعضا.. قال الرسول ﷺ: «**فمن كانت عنده امانة فليؤدها الى الذي ائتمنه عليها وان ربا الجاهلية موضوع..**».

وتحدث الرسول، صلى الله عليه وسلم، في هذه الخطبة الشاملة عن المرأة وقرر حقوق النساء وأوصى بهن خيرا، وسبق بهذه التوصيات دعاة حقوق المرأة الذين تشدقوا بهذه الحقوق، زيفا وكذبا وانما ارادوا بهذه الدعاوى استغلال المرأة، وافساد المجتمعات ليسهل عليهم السيطرة على أفرادها... قال الرسول ﷺ «**أيها الناس ان لنسائكم عليكم حقا، ولكم عليهن حق، اخذتموهن بامانة الله، فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهن خيرا**».

وكانت حقوق الانسان — كما يسمونها اليوم — من الأمور الهامة التي أشار اليها الرسول، صلى الله عليه وسلم، وحث على الالتزام بها..

انّ الثورة الفرنسية التي قامت — كما يزعمون — لتحقيق العدالة والإخاء والمساواة بين افراد المجتمع لم تحقق شيئا يذكر وأراقت في سبيل هذه الدعوة دماء كثيرة.. لكن دعوة الاسلام التي جاءت من السماء غرست هذه المعاني في نفوس المسلمين، والزمتهم بها وجعلت بعض العبادات تدريبا عمليا لجموع المسلمين على هذه المساواة التي يجب ان تحقق بين افراد المجتمع المسلم.. يقول الرسول الكريم «**أيها الناس ان ربكم واحد، وان أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب. ان اكرمكم عند الله اتقاكم. ليس لعربي فضل على عجمي الا بالتقوى.. ألا هل بلغت اللهم فاشهد**».

هذه المعاني الرائعة كانت ثمرة من ثمار الحج، ونتاجا من نتاجه الذي لا ينتهي لأن عطاء العبادة لا نهاية له..

وفي الحج يهاجر المسلم الى الله بجسده ومشاعره، ويترك مباهج الدنيا ومتعها وزخارفها، ويرضى بتعب الجسد، وانفاق المال، ليحقق متعة الروح وليقترب من ربه عز وجل..

وحث الاسلام على الحج المبرور وجعل جزاءه الجنة، والحج المبرور هو الذي يبتعد صاحبه عن ارتكاب الآثام والمعاصي، ويكون قاصدا بحجه وجه الله فقط وبعيدا كل البعد عن الرياء والسمعة..

والذي يحج كذلك بغير رفث ولا فسوق، يرجع من هذا الحج وقد تطهر من ذنوبه كلها وأصبح نقيا من هذه الذنوب نقاوته منها في اليوم الذي ولدته فيه أمه.. وهذه مكافأة لا شك انها تغري كل مسلم، وتجعل الجميع يتطلعون الى الحصول عليها بشغف ولهفة.

وفي الحج فوائد عظيمة منها اجتماع المسلمين من كل بقاع الدنيا في تلك البقاع الطاهرة، يتعارفون بينهم، ويتدارسون مشاكلهم، ويتعاهدون على الوقوف مع بعضهم في وجه التيارات الجارفة الحاقدة على الاسلام وأهله.. ومن هنا أوجب الله الحج على القادر من المسلمين على الفور، فلا يجوز التهاون فيه او التراخي عنه وهذا الوجوب يقع على الرجال والنساء على حد سواء.. يقول الله تعالى ﴿**ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين، فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا، ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين**﴾ وقال الرسول ﷺ «**يا أيها الناس ان الله كتب عليكم الحج فحجوا**».

ان الذي يتأمل في فريضة الحج يجد فيها الكثير من العبر والدروس العملية التي تجعل المسلم يندفع بكل قوة ليصل الى مستوى متقدم من الكمال في شؤون حياته كلها وهو احوج ما يكون الى هذا الكمال هذه الأيام.

فالتضحية استجابة لأمر الله دون تردد أو تخوف نجدها عند أبينا، ابراهيم عليه السلام، حينما قدم مع ابنه اسماعيل ومع زوجه هاجر وتركهما في مكان مقفر موحش لا أنيس لهما، ومع شدة تعلقه بابنه وحبه لهذا الابن فقد رضي أن يتركه رغم توسلات أمه لأن أوامر الله مقدمة على عواطف الانسان ونوازعه. وقد رضيت الأم بهذا القرار واطمأنت اليه حينما عرفت أنه من عند الله، وايقنت أن الله لن يضيعها.

يقول تعالى حكاية عن ابراهيم ﴿**ربنا اني اسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة، فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون**».. ويكبر اسماعيل،عليه السلام،ويجتمع بأبيه بعد طول غياب ويتعاون الأب وابنه على بناء الكعبة لتكون بعد ذلك مهوى لافئدة الناس في كل بقاع الارض،ويقول تعالى: ﴿**واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا، واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى، وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود**﴾ ويقول في مكان آخر ﴿**واذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود، واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم، وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق**﴾. (الحج ٢٦ — ٢٩).

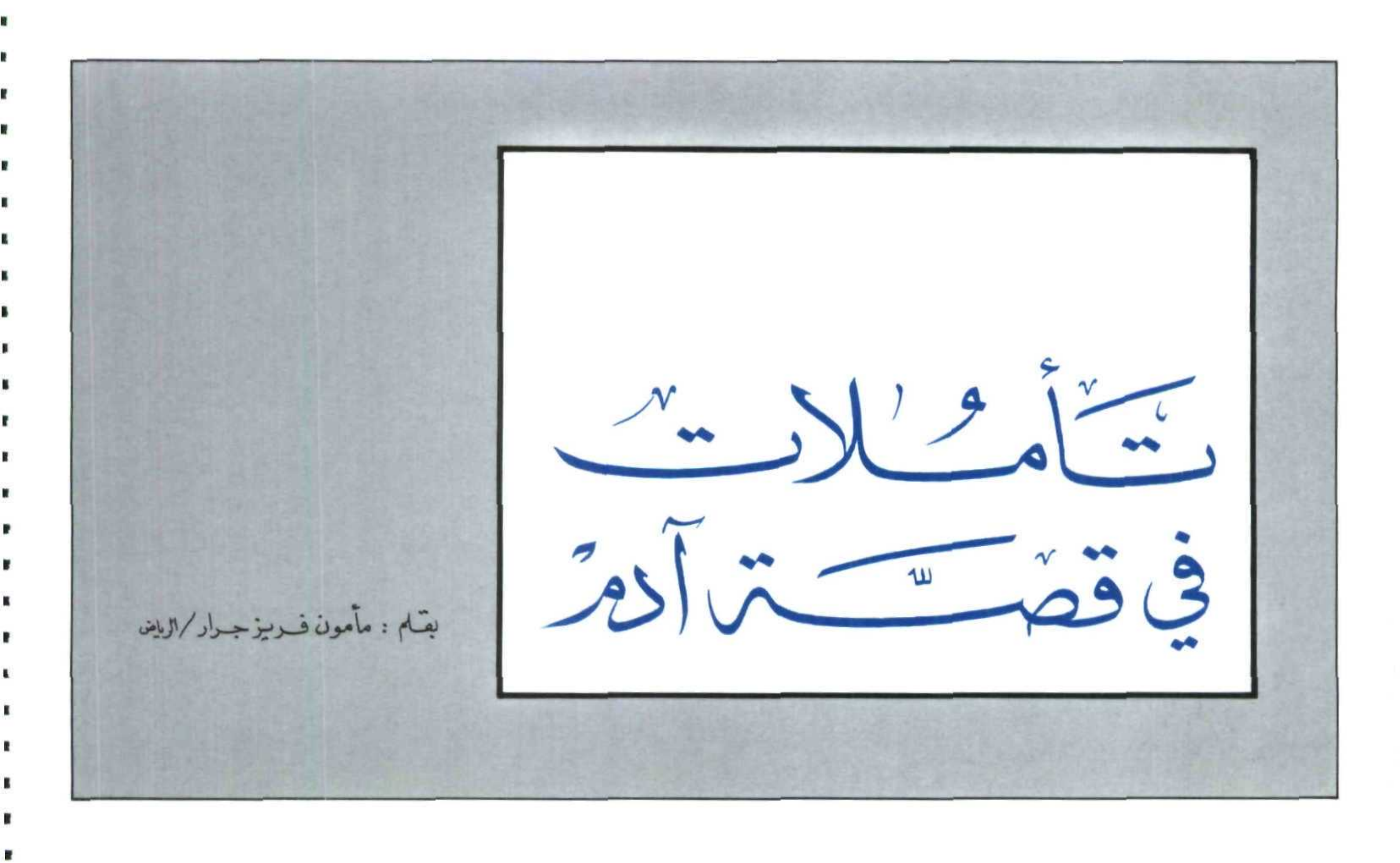
والسعي بين الصفا والمروة يوحي للانسان بأهمية الاطمئنان الى قضاء الله والرضى المطلق بهذا القضاء.. فهذه هاجر رضيت ان تمكث مع طفلها في واد موحش لا زرع فيه ولا ماء ولا أنيس، وعندما سألت زوجها ابراهيم عليه السلام: آلله امرك بهذا؟ قال نعم. قالت: اذن لا يضيعنا... وعندما نفذ زادها وماؤها شعرت بالحاجة الى السعي للبحث عن زاد وماء لها ولطفلها. فالسعي بحثا عن ارزاق الله بالطرق المشروعة واجب يفرضه الاسلام على أبنائه اذ ان التواكل والقعود عن العمل، واهمال حاجات الدنيا ومتطلباتها، اعتمادا على ان الله اراد هذا، وظنا بأن الله جعل كل واحد في وضع خاص لو اراد له تغييرا لغيّره دون كد منه ولا نصب. كل هذا الاعتقاد يخالف اساسيات الاسلام ولا يتفق مع روح الدين الاسلامي في شيء. ذلك أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة كما قال عمر بن الخطاب،والذي يسعى على نفسه واولاده ومن يعول خير له من الذي يقعد في بيته ينتظر عطاء الناس. ومن هنا بدأت هاجر تبحث عن قوت لطفلها فصعدت الى أقرب جبل لها وهو الصفا لعلها تجد احدا، فلما لم تجد احدا هبطت الوادي، وسعت فيه والاعياء والجهد قد أخذا منها كل مأخذ حتى وصلت الى الجبل الآخر المسمى بالمروة، فصعدته، ونظرت لعلها ترى احدا فلم تر احدا.. وهكذا كررت هذه العملية سبع مرات، ثم نظرت الى المكان الذي فيه طفلها فرأت الماء يتفجر من المكان الذي يجلس فيه، مكان هذا الماء هو ماء زمزم، الذي بارك الله فيه، وجعله لما شرب له... وهكذا فرض على المسلمين السعي بين الصفا والمروة لعلهم يتذكرون هذه المعاني وغيرها...

ويتذكر المسلم،وهو يؤدي مناسك الحج في مكة وغيرها من المشاعر، نبيه الكريم محمد، صلى الله عليه وسلم ،كيف تربى في مكة، ونشأ فيها وبدأ دعوته الكريمة بين ربوعها وكيف لاقى في سبيل هذه الدعوة الكثير من المصاعب والويلات التي لا حصر لها..

والحج فوق كل ما ذكرته يعتبر جامعا للمسلمين يجدون فيه أصلهم الضارب في أعماق التاريخ منذ عصر ابراهيم «**ملة أبيكم ابراهيم،هو سماكم المسلمين من قبل**» ويجدون فيه الكعبة المشرفة التي يتجهون اليها جميعا والتي تعبر عن وحدتهم تحت راية التوحيد الخالص لله. هذه الوحدة التي تجعلهم — لو قاموا بها — أقوياء أعزاء لهم السيادة على الكون الذي خلقه الله لهم...

والحج فرصة لكل مسلم لتبادل المشاورات وتنسيق الجهود وتبادل المصالح الدنيوية واكتساب الخبرات لأن هذه الفرصة التي يسمو فيها الزمان والمكان لا يمكن ان تجتمع للمسلمين في غير موسم الحج. ولهذا يقول الله تعالى ﴿**ليشهدوا منافع لهم**﴾ وهذه المنافع تختلف من وقت لآخر ومن جيل لآخر بحسب حاجات المجتمع ومتطلباته في كل عصر...

واخيرا يجب أن ندرك أن التكاليف الشرعية محفوفة برحمة الله ومراعى فيها طاقة البشر ﴿**وما جعل عليكم في الدين من حرج**﴾. وهذا الدين كله بتكاليفه وعباداته وشرائعه ملحوظ فيه فطرة الانسان وطاقته، ملحوظ فيه تلبية تلك الفطرة واطلاق هذه الطاقة، والاتجاه بها الى البناء والاستعلاء، فلا تبقى حبيسة كالبخار المكتوم، ولا تنطلق انطلاق الحيوان الغشوم، وهو منهج عريق في ماضي البشرية، موصول الماضي بالحاضر ﴿**ملة أبيكم ابراهيم**﴾ وهو منبع التوحيد الذي اتصلت حلقاته منذ عهد ابراهيم،عليه السلام،فلم تنقطع عن الارض ولم تفصل بينها فجوات مضيّعة لمعالم العقيدة كالفجوات التي كانت بين الرسالات قبل ابراهيم،عليه السلام □




وردت قصة آدم، عليه السلام، في القرآن الكريم في عدة مواضع، مفصلة في موضع ومجملة في موضع آخر.

ولن أقف مع قصة آدم في تفصيلاتها، فان فيها للناظر وجوها للتأمل. كيف لا؟ وهي قصة البشرية في فجرها، بل قصة البشرية مختزلة في صورة أبيها.. في شرف خلقه، وتكريم خالقه له، ثم في استثارته حفيظة الشيطان، وإبائه السجود له، ثم في نسيانه ومعصيته، ثم في توبته وانابته، وهبوطه الى ميدان الصراع بين الحق والباطل.. في هذا الكوكب الصغير العجيب!!

سأقف مع مشهد الوسوسة التي استطاع ابليس بها أن ينفذ الى قلب آدم، وينسيه عهد ربه اليه ألاّ يأكل من الشجرة المحرّمة. ولعل المرء يقف في لحظة ليسأل: كيف نسي آدم عهد ربه؟ وكيف أغفله الشيطان عن عداوته له؟ كيف..؟ وكيف؟!

ولئن كان لهذه الأسئلة أن ترد عن موقف أبينا آدم، فما أسهل أن نجد جوابها في حياتنا، ونحن نرى أنفسنا نقع في بعض الخطايا، أو نقوم ببعض الأفعال، ثم ترانا بعد ذلك نعجب من أنفسنا كيف قمنا بها! أو كيف وقعنا فيها؟

وقد أخبرنا النبي، ﷺ، خبرا ذا علاقة بما نحن فيه فعن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: ان موسى قال: يا رب أرنا آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة، فأراه الله آدم. فقال: أنت أبونا آدم؟ فقال له آدم: نعم. قال: أنت الذي نفخ فيك من روحه، وعلمك الأسماء كلها، وأمر الملائكة فسجدوا لك، قال: نعم. قال: فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ فقال له آدم: ومن أنت؟ أنا موسى. قال: أنت نبي بني اسرائيل الذي كلمك الله من وراء حجاب لم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه؟ قال: نعم. قال: أفما وجدت أن ذلك في كتاب الله قبل أن أخلق؟ قال: نعم. قال: فيم تلومني في شيء سبق من الله تعالى فيه القضاء قبلي؟ قال رسول الله، ﷺ: فحج آدم موسى، فحج آدم موسى. (رواه البخاري ومسلم وابو داود واللفظ له).

وقد يسأل سائل: وهل يحق للانسان أن يحتج بالقدر ليتنصل من مسؤولية المعصية اقتداء بهذا الحديث؟

الذي أراه —والله أعلم— أن آدم، عليه السلام، لم يحاج ربه في أمر معصيته، بل تاب وأناب، واستغفر وأقر بمعصيته، ويقابل ذلك ما فعله ابليس من استكبار واصرار على المعصية. ويبدو أن خطيئة آدم كانت كالطلق للحامل يدفع جنينها من الرحم!! وكذلك كانت المعصية سببا في تحقق مشيئة الله —عز وجل— بأن يكون آدم خليفته في الأرض، وسبيل المخطىء أن يتوب وينيب لا أن يجادل ويستكبر!!

**إنّ** مشهد وسوسة الشيطان لآدم يكشف لنا عن نقطة الضعف التي تسلل منها الى نفس آدم، فاستطاع أن يغريه ويغويه، وهي نقطة الضعف ذاتها التي ورثتها ذريته عنه، فكانت مقادا للشيطان يجرها منها الى الافساد في الأرض، ويرديها بها في جهنم!!

لنقرأ هذين المقطعين من قصة آدم:

الأول من سورة الأعراف (الآية/٢٠):

**﴿فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وُري عنهما من سوآتهما، وقال: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾**.

والثاني من سورة طه (الآية/١٢٠):

**﴿فوسوس اليه الشيطان، قال: يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾**؟!

يقول سيد قطب في تفسير الآية الأولى:

«بذلك داعب رغائب الانسان الكامنة، انه يحب أن يكون خالدًا لا يموت، او معمرا اجلا طويلا كالخلود، ويحب أن يكون له ملك غير محدود، بالعمر القصير المحدد. وفي قراءة مِلكين — بكسر اللام —، وهذه القراءة يعضدها النص الآخر في سورة طه **﴿هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾**، وعلى هذه القراءة يكون الاغراء بالملك الخالد، والعمر الخالد، وهما أقوى شهوتين في الانسان، بحيث يمكن أن يقال: ان الشهوة الجنسية ذاتها إن هي الا وسيلة لتحقيق شهوة الخلود بالامتداد في النسل جيلا بعد جيل.

وعلى قراءة ملكين — بفتح اللام — يكون الاغراء بالخلاص من قيود الجسد كالملائكة، مع الخلود، ولكن القراءة الأولى — وان لم تكن المشهورة — أكثر اتفاقا مع النص القرآني الآخر، ومع اتجاه الكيد الشيطاني، وفق شهوات الانسان الأصيلة. (في ظلال القرآن مجلد ٣ ص/١٢٦٩).

ومعنى هذا أن هذين المقطعين من قصة آدم يكشفان عن غريزتين أصيلتين في الانسان، وجدتا في أبي البشر الأول، وورثتها عنه ذريته، وهما: حب الخلود والسعي اليه، وحب التملك. ولو نظرنا في آثارهما في حياة البشر لوجدناها ماثلة للعيان في مظاهر عديدة.

## حب الخلود والسعي اليه

إن احساس الانسان بأنه محدود العمر، محدود القدرة، صائر الى الفناء، يدفعه الى السعي الى الخلود. وهذا السعي قد يكون محكوما بشرع الله عز وجل، فيعلم الانسان حقيقة الدنيا، بأنها دار فناء، فلا يسعى الى الخلود فيها، ولا يستجيب لظاهرها المغري الغارّ، ولا يستجيب لوسوسة الشيطان الغرور. وتراه يعيش في ظلال قول الله تعالى:

**﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا، ولا يغرنكم بالله الغرور﴾** (لقمان/٣٣). ويتفيأ معاني الآية الكريمة التي كشفت حقيقة الدنيا بأنها موسم من مواسم الزرع والحصاد:

**﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام، حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾** (يونس الآية/٢٤).

ومن هنا فان المؤمن لا يسعى الى الخلود في الدنيا لمعرفته بحقيقتها: **﴿يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار﴾** (غافر الآية/٣٩).

وإنما يكون سعي المؤمن الى الخلود في دار الخلد، أو جنة الخلد. فالخلود إنما يكون في الآخرة للمؤمنين في الجنة، وللكافرين في النار.

**وهناك** فرق بين السعي الى الخلود والسعي الى الامتداد بعد الموت! فالمؤمن يسعى الى أن يمتد أثره بعد وفاته في صورة من الصور المشروعة، من ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به، أو صدقة جارية. وليس المقصود من هذا الامتداد الدنيا ومتاعها، بل السعي الى الاستكثار من الزاد الذي يعين في دار الخلود الحقيقي.

والفرق واضح بين هذا الموقف وموقف غير المؤمن! فالكافر محجوب عن الحقيقة، مغرور بالدنيا، ومقاد للشيطان من نزعته الى الخلود، فهو لا يسعى الى الامتداد سعي المؤمن، بل يرجو الخلود الموهوم. ومن مظاهر هذا السعي:

أ— الحرص على الذرية، وبخاصة الذكور، استبقاء للذكر أطول مدة ممكنة، ومن هنا نجد حرصه على أن يرزق بالذكور الذين يحملون اسمه، وهذا مفهوم يمكن أن نضيفه الى ما يفسر به موقف الجاهليين من الإناث وحبهم للاولاد الذكور.

ب — الاتجاه الى تخليد الذكر من طريق الفنون المادية التي تحفظ للانسان ذكرا بعد وفاته ولو الى حين. وقد رأينا كيف تتنوع صور هذا السعي، فمرة يلجأ الانسان الى الاصباغ، فيرسم صورته أو صورة من يريد تمجيده، ومرة يلجأ الى مواد أقدر على مقاومة عوامل الفناء، فيتجه الى الخشب او الحجارة أو المعادن، فيصنع منها التماثيل لمن يريد أن يخلد ذكرهم، ويطمع في تخليد عمله الفني!! ومرة أخرى يلجأ الى البناء فيشيد من المباني ما يطمع أن يخلد على الدهر، من معالم لم تزل باقية عبر السنين كالأهرام والقصور، والمدرجات والأبراج، ولعلنا نستشف هذا السعي في قول الله عز وجل حكاية عن نبيه هود، عليه السلام، اذ قال لقومه:

**﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون﴾** (الشعراء ١٢٨ — ١٢٩).

ج ـ الاتجاه الى تخليد الذكر عن طريق فنون القول: من خطابة وشعر وقصة. صحيح أن هناك بواعث اجتماعية وتربوية ونفعية تدفع الأديب الى انتاج أدبه، ولكننا لا نستطيع اغفال الجانب الغريزي المتمثل في السعي الى الخلود ولو الى حين.

ولعل من الطريف أن نتنبه الى أن ما يسعى الانسان به الى المجد قد يبقى من بعده، وينسى صانعه! فهاهم علماء الآثار يكتشفون كل يوم جديدا مما خلف الانسان وسعى به الى الخلود، من غير أن يعرف أكثر صانعيه.

## السعي إلى الملك

الغريزة البشرية الثانية التي تكشفها قصة آدم هي غريزة حب الملك والسعي اليه. وهذه الغريزة قرينة العلو والافساد، لأن الانسان يسعى بسببها الى حيازة ما تصل اليه يده، مما يجعله في حالة صراع مع منافسيه، فيتولد الحسد والضغينة وتقع الخصومة والاقتتال.

وهل قتل ابن آدم لأخيه الا مظهر من مظاهر هذه الغريزة؟! وقد ورد في القرآن الكريم قصص عديدة فيها تجليات لهذه الغريزة. وذلك ما نجده في قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف.. الذي استعلى بما أتاه الله على أخيه المؤمن ﴿**قال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا**﴾(الكهف/٣٤).

وما ورد في قصة أصحاب الجنة الذين دفعهم حب التملك الى أن يحرموا الفقراء حقهم ويقتطعوه لأنفسهم، وكان من أمرهم ما قصته علينا سورة «القلم».

ومن الأمثلة الواضحة في هذا المجال قصة قارون الذي أتاه الله المال العظيم فطغى وتجبر في الأرض، واراد أن يجعل من نعمة الله عليه فتنة لعباد الله! وكذلك الأمر مع فرعون الذي ملّكه الله مصر، فظن أن له الملك المطلق، فادّعى الألوهية والربوبية.

ومن الملاحظ في هذه القصص ارتباط غريزة حب الملك والسعي اليه بالغريزة السابقة وهي غريزة حب الخلود والسعي اليه. بل اننا نجد حالات مرضية يتصور فيها الانسان نفسه، وقد أوتي ما أوتي، وكأنه قد ملك الخلود الحقيقي، ونسي أنه في دار الفناء!! فمن خبر صاحب الجنتين:

﴿**ودخل جنته وهو ظالم لنفسه، قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا**﴾ (الكهف/٣٥).

إنها حالة مرضية، خيلت اليه أن جنته ما هي الا جنة الخلد التي وعد المتقون! ولذلك فانها لن تبيد أبدا!!!

ونحن نقرأ ما حكاه الله عز وجل عن فرعون، وقد أصيب بحالة مرضية شديدة الوضوح، فحاول الارتفاع عن حد العبودية، والارتقاء الى مقام الربوبية، في صورة لم تعرف لها البشرية مثيلا!! وإلا فهل تتصور عاقلا من البشر يقول للناس: ﴿**أنا ربكم الأعلى**﴾!! (النازعات/٢٤).

ليس ربكم فحسب! بل ربكم الأعلى!! وتغيب الحقائق عن ناظريه فيظن أنه في عالم الخلد، فينادي في قومه: ﴿**أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي**﴾؟! (الزخرف/٥١).

﴿**وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري، فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع الى إله موسى، وإني لأظنه من الكاذبين**﴾ (القصص/٣٨).

﴿**وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب، أسباب السموات فأطلع الى إله موسى، وإني لأظنه كاذبا**﴾ (غافر/٣٥).

وقد أورد القرآن الكريم مثلا آخر ممن حاولوا الخروج من حد العبودية وادعاء الربوبية، ولكنه لم يلجّ لجاجة فرعون، بل تصاغر أمام البرهان الذي قدمه له ابراهيم عليه الصلاة والسلام:

﴿**ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت، قال: أنا أحيي وأميت، قال ابراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق، فأت بها من المغرب، فبهت الذي كفر، والله لا يهدي القوم الظالمين**﴾ (البقرة/٢٥٨).

إنها حالة شبيهة بحالة فرعون، ولكنها أقل منها انتفاخا، وأهون شأنا! فأما فرعون فإنه إمام من دعاة الضلالة الذين حسبوا أنهم الى الله لا يرجعون، وظنوا أنهم بما أوتوا من الخالدين الذين لا يجري عليهم قانون الفناء الذي يحكم المخلوقات كلها!

ولو ذهبنا نتتبع آثار هاتين الغريزتين في حياة البشر لوجدناها في كل زاوية من زوايا الأرض.

ونرى غريزة التملك في الصراع المتصل على كرسي الحكم في البلد الواحد، وفي السعي الى الهيمنة وفرض النفوذ على نطاق الدول.

وإننا نعيش في عصر الدولتين العظميين اللتين يظن زعيم كل منهما أنه يملك مصير البشرية!! أوليست بين يديه أزرار ان ضغط عليها أو أمر بالضغط عليها استطاع تفجير الأرض وإفناء البشرية؟!! أولم يؤتوا من العلم ما مكنهم من معرفة كثير من الظواهر والبواطن بوسائل التجسس والتصنّت والتصوير عن بعد؟! بلى نجد هذا وأكثر منه!

وقد يغيب عن بال بعض الناس في ضوء ما يرونه من عظمة هاتين القوتين ان الله أعظم وأقوى! وان هذه الأرض ما هي الا هباءة في هذا الكون الذي يصاب الانسان بالدوار ان حاول التفكير في سعته وأبعاده! وما نراه في حياة البشر ما هو الا مظاهر وتجليات لهاتين الغريزتين اللتين ولدتا مع أبي البشر آدم، وظهرتا في ذريته في صور متعددة نشاهد في عصرنا بعضا منها.. ونحن نردد ما جاء في كتاب الله عز وجل: ﴿**واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال إني أعلم ما لا تعلمون..**﴾ (البقرة/ ٢٩) □



# الإنسان والزمن

شعر : جليلة رضا / القاهرة

أنـا كلمـا شاهدت أمسي مـن خلال الذكريـاتِ
ورأيت نفسي طفلـة تلهـو على طرقـات ذاتـي
أنا كلمـا شاهدتـني.. أنكـرت مـن أخـذت صفاتـي
وكأنهـا «بنت» سواي غريبـة عاشت حياتـي

* * *

هـي ذي تـرف... تلـف... تقفـز فـوق أكتـاف الحيـاه
وتهيـم.. تصـرخ في الطريق بغـير أين؟ وغـير آه
وتطـير مـن نجـم الى نجـم لتسبح فـي سماه
هـي ذي تغنـي للقلـوب وللعيـون وللشفـاه

* * *

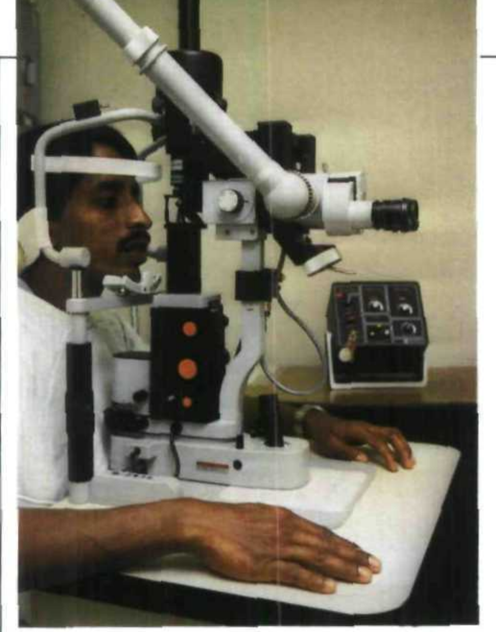
هـي ذي علـى جسر الخريف تشم أنفـاس البحـيره
الجسر منفـرج الضلـوع يهزهـا قلقا.. وحـيره
والمـاء يومض ساخـرا ويمدّ نحـو الشطّ سـيره
والليـل يزحـف نحوهـا ويلف حـول الخطـو نـيره

* * *

إنـي أراهـا الآن تجتاز النهايات الطليقـه
وتكـاد كالدلـو الثقيل تغوص في البئر العميقـه
ذبلت كأوراق الشتاء على الحـاشي.. في الحديقـه
وتوحـدت عـبر الحياة فـلا رفيق.. ولا رفيقـه

* * *

أواه! مـا أقسـى احتمـاء الليـل خلف شعاع نـور
مـا أبشع الديـدان تولد بين أحشاء الغديـر
مـا أبغض الريـح الجسور اذا أطاحـت بالزهـور
مـا أمكـر الأعـوام.. حين تمرّ مـن خلف الظهـور



# أشعة ليزر.. الضوء الشافي

بقلم: د. عبدالرحمن عبداللطيف النمر/لندن

**يبدو** أن البشرية تجني ثمار مسيرتها الطويلة في القرن العشرين! فقد حفل هذا القرن بعدد من الاختراعات والاكتشافات المذهلة، التي تعتبر بحق تتويجا للجهد البشري في حقل المعرفة والبحث ونشدان الأفضل في الحياة.

ومما يثير الدهشة، أن معظم اختراعات واكتشافات القرن العشرين ولدت في أقل من خمسين سنة، مما يعطي الانطباع بأن إطلاق الشرارة كان إيذانا بتفجر كل طاقات البشر العقلية، عبر آلاف السنين، لتلد هذا الكم الهائل من الانجازات العلمية الرائعة!

والطريف أيضا بشأن الطفرة العلمية في القرن العشرين، أن البون يبدو شاسعا جدا بين أولها وآخرها، بالرغم من قصر الفترة الزمنية الفاصلة بينهما! فلم يكن يخطر ببال «جراهام بل» حين اخترع الهاتف، انه في أقل من خمسين عاما سيتمكن انسان القرن العشرين من ارسال واستقبال محادثات الهاتف عبر الأقمار الصناعية، دون الحاجة الى شبكة معقدة من الاسلاك والكابلات للربط بين آلتي المرسل والمستقبل. ولا خطر ببال «موريس» حين اخترع «البرق» (التلغراف)، ان الارسال عن بعد بواسطة «التلكس — Telex »، بعد أقل من خمسين سنة من اختراعه، سيجعل آلاته العجيبة تبدو أثرية وغير عصرية! بل فوق هذا وذاك، لم يدر في خلد «بل» أو «موريس»، أو أي انسان عاش في مطلع هذا القرن، أن البشرية ستخرج —لأول مرة في تاريخها— من نطاق جاذبية الأرض، لتحلق في الفضاء الخارجي، بل وليمشي أيضا «نيل آرمسترونج» على سطح القمر!

ولا ندري ما يخبئه لنا القرن العشرون في جعبته —بعد كل ذلك الفيض— من انجازات علمية جديدة!

على أي حال، فان الحقل الطبي حظي مثل غيره من جوانب الحياة البشرية بالعديد من الاختراعات والاكتشافات. ومن الطريف أن نذكر أن اجراء العمليات الجراحية في مطلع هذا القرن، كان يتم بعد تقييد المريض، لمنعه من الحركة أثناء الجراحة. أما اليوم، فان الجراحة تجرى في وقت وجيز، والمريض مسترخ على طاولة مريحة، دون أن يربط جسمه بحبل أو قيد واحد. بل ان انواعا من العمليات الجراحية، مثل زراعة قلب أو كلى أو اعادة طرف مبتور، كان من المستحيل تماما اجراؤها قبل ثلاثين سنة! ويرجع الفضل في ذلك الى ثمار القرن العشرين العلمية.

## معجزة علمية وطبية:

مرة اخرى، لو قيل لانسان عاش في مطلع القرن العشرين —فضلا عمن عاشوا قبل ذلك— ان العمليات الجراحية يمكن اجراؤها دون استخدام المشرط، لكان من الصعب عليه تصديق القول! ولو علم شخص مصاب بـ«انفصال الشبكية — Retinal detachment » —قبل عشر سنوات فقط— انه يمكن علاجه دون ادخال أي أداة جراحية في جسمه، وأيضا دون تعاطي أي دواء، فربما يعد ذلك ضمن الخرافات التي لا يؤمن بها الا نفر قليل من الناس! ولكن أشعة ليزر، تجعل ذلك، وأكثر منه، حقيقة علمية غير قابلة للشك او الطعن في صحتها.

والاسم الشائع لأشعة «ليزر»، يتكون في الواقع من الحروف الأولى لاسم طويل هو «تكبير الضوء بحثّ انبعاث الاشعاع». وكما يوضح الاسم الحقيقي، فأشعة ليزر ليست الا نوعا من الضوء الصادر عن العناصر، ولكنه يختلف عن ضوء الشمس، كما يختلف عن ضوء المصابيح الكهربية. فبينما ينتشر ضوء الشمس، وكذا الضوء الكهربي، في جميع الاتجاهات، وبأطوال موجات مختلفة، الا أن أشعة ليزر تنتشر في اتجاه واحد فقط، وبطول موجة واحد. وانتشار أشعة ليزر في اتجاه واحد، يجعلها أقوى من أشعة الشمس، وأشعة المصابيح الكهربية. كما أن طول موجة الأشعة الواحد يجعلها مترابطة ومركزة.

**وهذه** الخصائص الفريدة لأشعة ليزر، هي التي فسحت المجال لتطبيقها في مجالات عديدة، ابتداء من قطع الماس (وهو أصلد من المعادن ويلزم لقطعه سكين من الماس)، وقص الأقمشة في مصانع الملابس الجاهزة، ومرورا بنقل المكالمات الهاتفية في ألياف الزجاج، وانتهاء بالتطبيقات الطبية العديدة.

والجدير بالذكر أن طول موجة أشعة ليزر، وكذلك قوة الشعاع، تحددها المادة التي تمر خلالها الأشعة. وفي مجال الجراحة، تمرر أشعة ليزر في أنبوبة رفيعة من البلور المطاط، فيكون الشعاع الناتج قويا ومركزا، بحيث يمكن استخدامه كبديل للمشرط ! أو تمرر أشعة ليزر، قبل استخدامها طبيا، في اسطوانة مملوءة بالغاز. وهذا الغاز، يتغير وفقا لنوع الجراحة المراد اجراؤها. فاذا كانت الجراحة في العين، فالغالب أن يكون الغاز «الأرجون Argon ». ويكون الشعاع الصادر في هذه الحالة بلون الزمرد الأخضر، ويمكنه اختراق شبكية العين. اما اذا كان الغرض هو استخدام الأشعة في جراحات النساء، فتمرر أشعة ليزر في اسطوانة مملوءة بغاز ثاني أكسيد الكربون. ونظرا لأن غاز ثاني اكسيد الكربون سهل الذوبان في الماء، فان أنسجة جسم الانسان التي تتكون من ثمانين في المائة ماء (بالوزن)، تمتص الشعاع الصادر خلال ثاني اكسيد الكربون بسهولة، حيث يعمل الشعاع على «تذويب» الأنسجة المريضة المراد التخلص منها ! والشعاع الصادر نتيجة استخدام ثاني اكسيد الكربون، غير مرئي، اذ ينتشر في نطاق الأشعة دون الحمراء، وهو نطاق غير منظور. ولهذا تزود الانبوبة الناقلة للاشعاع بمصدر للضوء المنظور، بحيث يمكن توجيه الاشعاع الى المكان المراد علاجه.

### التطبيقات الطبية :

لا يكاد العد يحصي تطبيقات أشعة ليزر في حقل الطب. فهي تستخدم لعلاج حالات متعددة ومختلفة، في شتى أعضاء الجسم وأجزائه، بحيث لا توجد أداة علاجية أخرى تضاهيها، سواء في القدرة على العلاج، أو في تعدد نواحي الاستعمال ! فمثلا، تستخدم أشعة ليزر لعلاج أورام المخ، بما في ذلك تلك التي يصعب الوصول اليها جراحيا. وهي بذلك تغني عن كثير من «الجراحات العصبية — Neuro surgery ». وفي مجال العيون، تزيل أشعة ليزر انسداد قنوات العين الذي يؤدي الى المرض المعروف باسم «الماء الأسود — جلوكوما». ويؤدي انسداد قنوات العين، وبالتالي عدم صرف سوائل العين، الى زيادة الضغط داخل العين، مما يهدد بالعمى نتيجة تدهور البصر تدريجيا. كذلك تعمل أشعة ليزر على «لصق» الشبكية المنفصلة. وانفصال الشبكية واحد من أسباب العمى المفاجىء. اذ يحدث الانفصال فجأة عند المصابين بضغط الدم المرتفع، والمصابين بمرض «البول السكري Diabetes mellitus ». ونظرا لانتشار حالات انفصال الشبكية هذه الأيام، كنتيجة طبيعية لزيادة معدل الاصابة بارتفاع ضغط الدم والسكر، فلا يخفى اسهام أشعة ليزر، حيث وفرت علاجا لحالة كان يصعب — ان لم يكن مستحيلا — علاجها !

وتستخدم أشعة ليزر لتثبيت طبلة أذن جديدة في موضعها ! وطبلة الأذن غشاء رقيق يفصل بين الأذن الخارجية والأذن الوسطى، ويتموج هذا الغشاء عند استقبال موجات الصوت، فتنقل أعصاب السمع هذه التموجات الصوتية الى المخ. وببساطة، فان الحالات المتعددة التي تؤثر على ذلك الغشاء الرقيق «طبلة الأذن»، مثل الالتهاب والتهتك، وأحيانا التمزق الكامل، تحول دون قيامه بوظيفته، مما يعني تدهور القدرة على السمع. وتعتبر زراعة طبلة الاذن العلاج الأمثل لحالات التمزق، والالتهاب الخطير الذي يُفقد الطبلة وظيفتها. على أن الجراحة لا تنجح في أحوال كثيرة، نظرا لرقة الغشاء المزروع وصعوبة تثبيته في موضعه بالخيوط الجراحية. ولكن أشعة ليزر تؤدي الغرض المطلوب على أكمل وجه، من خلال التحام النسيج المزروع مع نسيج الأذن الأصلي !

وفي مجال علاج أمراض الجلد، تستخدم أشعة ليزر في كيٍّ ثآليل «السنط»، وهي ثآليل أو أجسام صغيرة، تنشأ عن الاصابة بفيروس، وتكون غالبا في أصابع اليدين أو القدمين، وبعضها يكون مؤلما للغاية. وكانت تزال هذه الثآليل وما تزال في معظم البلدان، باستخدام الكيّ بالكهرباء. ولكن هذه الطريقة مؤلمة للغاية، وتستوجب تخدير المريض قبل بدء العلاج. لكن الحال يختلف مع أشعة ليزر، فلا ألم ولا تخدير، اللهم الا شعور طفيف بوخزة خفيفة. كذلك تستخدم أشعة ليزر لإزالة علامات الوشم والوحم من على الجلد، وهي بذلك توفر على المريض جراحة تجميل باهظة التكاليف.

ثم ان أشعة ليزر تساعد على التئام قرحة المعدة في غضون أيام قلائل. في الوقت الذي يتطلب علاجها بالعقاقير أسابيع طويلة. وفي حال اخفاق العلاج بالدواء، تجرى جراحة لاستئصال الجزء من المعدة المصاب بالقرحة، مع ما يترتب على الجراحة من نتائج عكسية.

### التطبيقات الجراحية :

بكل المقاييس، تفوق اشعة ليزر جميع الادوات الجراحية التقليدية. ومع التوسع في استخدام أشعة ليزر في غرف العمليات، بدأ كثير من الجراحين في وضع مشارطهم جانبا. فأشعة ليزر يسهل توجيهها الى ثنيات أنسجة الجسم، على النقيض تماما مع المشرط. وعلى ذلك، يستغني الجراح، عند استخدام الأشعة، عن قطع كثير من الأنسجة السليمة، الذي يفرضه استخدام المشرط.

أضف الى ذلك أن أشعة ليزر، وهي ضوء ساخن تصل حرارته الى عشرة آلاف درجة فهرنهايت (١٠٠٠٠°ف)، تقتل أي ميكروب في طريقها ! وهي بذلك تغني عن كثير من عمليات التعقيم المرهقة والمكلفة. وقد لوحظ أيضا أن احتمال اصابة الجرح بعدوى، بعد العملية، أقل كثيرا منه في حالة الجراحة التقليدية.

ونظرا لسخونة الضوء أيضا، فإن الأوعية الدموية التي تتقطع أثناء الجراحة، تلتحم جدرانها بسرعة، فيقف النزيف الذي يُفقد أي جرّاح أعصابه ! كما أن وقف النزيف يعني وضوح الرؤية في موضع الجراحة. اذ عادة يصبغ نزيف الدم جميع الأنسجة باللون الأحمر، مما يستلزم تجفيف موضع الجراحة بين الحين والآخر لتوضيح الرؤية.

وبصفة عامة فان أشعة ليزر تستغرق وقتا أقل كثيرا من الجراحات التقليدية! وهذا يعني — خلافا لتوفير الوقت والجهد ونفقات تشغيل الأجهزة المختلفة — أن المريض يقضي وقتا أقل تحت المخدر! ولا يعرف قيمة هذه المزية إلا من اضطر ان يبقى ساعات طويلة تحت تأثير المخدر.

وفوق ذلك كله، فالجروح في جراحات أشعة ليزر لا تترك، بعد التئامها، تشويها يذكر! على النقيض من الجروح الناجمة عن الجراحة التقليدية التي تترك «ندبة — Scarring»، تبقى غالبا معظم العمر.

والطريف أن الجراحين يسمون أشعة ليزر بأسماء مختلفة. فبعضهم يسميها «سكين الضوء»، والبعض الآخر يسميها «الضوء الساخن»، ومعظمهم يسميها «المشرط السحري — Magic Scalpel». ويبدو أن تطبيقات هذه الأشعة في حقل الجراحة كثيرة ومتعددة فبعد كل الامتيازات التي حققتها أشعة ليزر على أدوات الجراحة التقليدية، ينتظر في المستقبل القريب أن تكون العمود الفقري في جميع جراحات امراض النساء. فقد استخدمت بنجاح في كيِّ اورام عنق الرحم، بدلا من ازالتها جراحيا. ومن بين مائتين وثلاثين سيدة عولجت بأشعة ليزر من أورام عنق الرحم، شفيت تماما مائة وتسعون سيدة! بينما عاد الورم الى الظهور في البقية، بعد خمس سنوات من العلاج. وكان ذلك في اطار دراسة أجرتها جامعة «كانساس» في الولايات المتحدة الامريكية.

أما العقم، وهو مشكلة المشاكل عند زوجات كثيرات، فلم يستعص على أشعة ليزر أن تضع نهاية له. ومعظم حالات العقم عند النساء ينشأ من انسداد «قناة فالوب». وهي قناة رفيعة جدا لا يزيد تجويفها على سمك شعرة الرأس. وتتصل هذه القناة بالرحم من ناحية، وتنتهي بما يشبه القمع «نهاية مخروطية الشكل» من الناحية الأخرى. ويحتضن القمع المبيض الذي يقذف بويضة كل شهر في قناة فالوب. فاذا حدث والتقى حيوان منوي ببويضة المرأة، في قناة فالوب، تم الاخصاب. وتبدأ البويضة المخصبة رحلتها في اتجاه الرحم، حيث تسكن هناك الى أن يكتمل نمو الجنين.

فاذا كانت «قناة فالوب» مسدودة، فلن تجد البويضة طريقها من المبيض الى الرحم عبر القناة. كما أن الحيوان المنوي لن يتمكن من الصعود في القناة لمقابلة البويضة واخصابها. وهذا يعني باختصار استحالة وقوع الحمل.

ونظرا لدقة قناة فالوب المتناهية، فان اجراء أي جراحة عليها يعتبر نوعا من العبث غير المجدي. ولم يكن من سبيل لعلاج انسداد القناة سوى دفع مقدار من غاز ثاني أكسيد الكربون، تحت ضغط كبير، في القناة. وكان معدل نجاح هذه العملية والتي تعرف باسم «النفخ — Insuflation» لا يتجاوز خمسة في المائة.

وظل العقم يؤرق جفون النساء ويقضّ مضاجعهن، الى أن خرج «د. باتريك ستيبتو»، الانجليزي الجنسية، بفكرته التي بهرت الأوساط الطبية، وهي اخصاب البويضة في أنبوبة الاختبار. وتعتمد «طريقة ستيبتو»، هكذا تسمى في الأوساط الطبية، على استخراج بويضة ناضجة من المبيض، واخصابها في المختبر بحيوان منوي من ماء الزوج. وبذلك يتغلب على العائق ويدور حول الطريق المسدود!

ويوم ولدت الطفلة «ليزلي براون»، أول طفلة في تاريخ البشرية تنمو من بويضة مخصبة في المختبر، مساء الخامس والعشرين من يوليو/ تموز ١٩٧٨، قامت الدنيا وقعدت! وضجت وسائل الاعلام في العالم كله بما أسمته «أعظم انجاز علمي في القرن العشرين»!

لكن ذلك الانجاز العلمي المذهل سيصبح مجرد ذكر في غضون سنوات قلائل، يُعَمَّم أثناءها استخدام أشعة ليزر في علاج العقم! (أليس عجيبا بحق، ذلك الايقاع السريع الذي تتحقق به الاكتشافات والانجازات العلمية في العصر الحالي؟!)

إن الفارق هو أن أشعة ليزر لم تحظَ بذلك «الضجيج الإعلامي» الذي حظيت به «طريقة ستيبتو». فهي تشق طريقها الى الشهرة بنفس أسلوبها في العلاج: بهدوء بالغ!

وستحل أشعة ليزر محل «طريقة ستيبتو» لأنها لا تتطلب ذلك العناء لاستخراج البويضة، ولا ذلك العناء لاخصابها في المختبر. وفوق ذلك لا تكلف جزءا من مائة من التكاليف الباهظة لطريقة ستيبتو (خمسة آلاف جنيه استرليني لاخصاب بويضة واحدة). ولكنها ببساطة بالغة «تذيب» أي عائق يسد قناة فالوب، في عملية لا تستغرق سوى دقائق معدودة! فاذا ما تعذّر «إذابة» العائق، تقطع القناة ويستأصل العائق، ثم يعاد توصيلها. كل ما هنالك أن الجراحة قد تطول لتستغرق ساعة أو نحوها.

وبعد فان استخدام أشعة ليزر في حقل الطب والجراحة ليس وليد اليوم. فهي تستخدم بنجاح منذ عشرين سنة مضت تقريبا. لكنها — كما أسلفنا — تنتشر ببطء. ولعل ذلك البطء في الانتشار لا يرجع الى طبيعة الأشعة الهادئة فحسب، بل يرجع كذلك الى ضرورة أن يلم الطبيب الذي يستخدم الأشعة بعلم «الفيزياء الحيوية — Biophysics». يضاف الى ذلك أن تكاليف إنشاء غرفة عمليات صالحة لاستخدام أشعة ليزر، تصل الى ربع مليون دولار امريكي!

فهل تحول هذه العوائق دون انتشار أشعة ليزر وتعميم استخدامها؟!

الرأي هو أن تلك العوائق لا تعدُّ شيئا يذكر اذا ما قورنت بالثمار العديدة لأشعة ليزر. ومن هذا المنطلق، فان اليوم الذي تحتل فيه أشعة ليزر مكان الصدارة في حقل الطب ليس ببعيد! □

## المراجع

1. Leon Goldman, "Biomedical Aspects of Laser", 1984.
2. Samuel L. Marshall, "Laser Technology and Application", Vol "9".
3. Encyclopedia Britanica, Vol "9", PP 686 - 9.
4. Keneth Bailey, "The Hamlyn Encyclopedia", Hamlyn Publishing Gp. Ltd., 1981.

# حول اللغة العربية

# حقائق وأوهام

بقلم: د. أحمد الشويخات / جامعة الملك فيصل

ليست اللغة العربية بدعا بين اللغات العظيمة في التاريخ، (أي ذات الموروث الحضاري العظيم).. وينطبق على العربية ما ينطبق على أي لغة أخرى من مناهج البحث اللساني المعاصر، لو توفر الباحثون القادرون. ومن المنطق الا نجعل الدراسة العلمية العميقة متعارضة مع خصوصية اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم.

وأحب أن أكرّس هذه المقالة لمناقشات مختصرة لأطروحات حول البحث اللساني في اللغة العربية، وتاريخها، كما قدمها الدكتور «منذر عياشي» في مقالته «الرؤية الحضارية والبحث اللساني» المنشورة في «القافلة» (عدد صفر ١٤٠٧هـ). ومما يغري بتناول آراء الدكتور هو تمثيلها في ناحية منها، والى حد ما، نمطا من أنماط المفاهيم الشائعة والخاطئة، في تصوري عن اللغة العربية والبحث فيها وحولها، ومما يكثر في شرق الوطن العربي وغربه.

## الرؤيــة الحضــاريــة

نفهم من مقدمة مقالة الدكتور عياشي أن الرؤية الحضارية «منظور عام»، «لها سياق»، ولها «دور هام في الدراسات الانسانية والمادية على حد سواء. بالاضافة الى كونها اداة تكوين فهي اداة للتحليل أيضا. ولذلك كان لها في اللسانية ما لها من أهمية في العلوم الأخرى».

إن الرؤية الحضارية نمط تفكير، له أسس معرفية ضمن أطر حضارة ما. وهي، كما اسلفت في المقالة السابقة «حول الحضارة والبحث اللساني»، افراز للواقع الحضاري بكل ما فيه من نظم اجتماعية وسياسية واقتصادية وفكرية عقائدية. ولقد أثر الواقع الحضاري، ويؤثر الآن على العلم من حيث الشكل والمضمون والغاية والممارسة ككل — سواء عندنا في الحضارة العربية الاسلامية أو في الحضارة الغربية.

ولقد أشرت في المقالة السابقة الى ارتباط البحث اللساني غالبا بالعقيدة الدينية في الاسلام، وارتباطه في الغرب أيضا بسياقات حضارية أكثر تنوعا وتضاربا من الناحية الفلسفية، منذ الاغريق ومن قبلهم مرورا بالحضارة العربية الاسلامية وحتى الآن. ذكرت هذا وفروع اللسانيات المعاصرة في الغرب لابراز تنوعها وتعددها كفروع متخصصة دون الخوض في تفاصيل تواريخها وأسسها الحضارية.

## البحث اللسـاني واللغـة العربيـة

يقول الدكتور عياشي ان دراسة اللغة العربية «تختلف نوعيا ومنهجيا عن باقي الدراسات المعروفة عند باقي اللسانيين الغربيين للأسباب التي عرضناها. ولقد اتضح لنا أن تطور العربية يشكل نوعا فريدا وخاصا اذا ما قورن بتطور اللغات الأخرى. وهذا ما منعنا، موضوعيا، من اتباع بعض اشكال الدرس التي يستعملها اللسانيون في العصر الحديث، وصرفنا عن تطبيق مناهجهم تطبيقا حرفيا» (ص/٢).

إذا كان الكاتب يتحدث عن الأسباب الدينية، أي ارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم والعقيدة وارتباط البحث اللساني بكل ذلك، فذلك واضح في التاريخ الاسلامي ولا غبار عليه. يضاف الى ذلك، بالطبع، تطور العلم، وتراكم المعرفة، وطرائق البحث كعوامل مساندة جعلت البحث اللساني ينحى تلك المناحي العربية الاسلامية التي نعرفها اليوم، ويتطور في تلك الاتجاهات التراثية التي تحتاج الى دراسات. أي انه يتحتم علينا أن نعود الى الواقع الحضاري برمته والى تطورات هذا الواقع لكي نفهم جذور البحث اللساني ومراحل تطوره عند اسلافنا اللغويين[1].

(١) انظر كتاب الدكتور علي عبدالواحد وافي (١٩٨٣م): «اللغة والمجتمع»، من منشورات عكاظ للنشر والتوزيع، وفيه طائفة من الملاحظات والقوانين، المتعلقة بالتأثر والتأثير اللغوي في حالة احتكاك اللغات.

أما اليوم فان بمقدور أي باحث متخصص أن يعمل المناهج اللسانية المعاصرة على العربية، استكمالا أو نقدا أو تنويعا على ما نجده في تراثنا، وتطويرا للمعرفة اللسانية عن العربية وحولها.

واذا رجعنا الى التراث وجدنا أن رواد البحث اللغوي المسلمين كانو يطورون في مناهج البحث واتجاهات الدراسة. فليست اعمال سيبويه وأبي الأسود الدؤلي شيئا جامدا أو نهائيا بالنسبة للأخفش أو أبي عمرو بن العلاء أو ابن جني أو الأصمعي أو الجرجاني. فلو أخذنا الواقع الحضاري للفترات التي عاشها هؤلاء اللغويون والنحويون والنقاد الادبيون لأمكننا قليلا أو كثيرا تفسير تطور دراسة اللغة في التاريخ العربي الاسلامي.

ومن ملامح التطور في الدراسة اللسانية في التراث هو الاهتمام بتطور أو تغير الدلالة «معاني المفردات»، و«الاشتقاق»، كما نجده واضحا عند ابن جني. وبطريقة تكاد تكون متخصصة مستقلة، ومناقشة مسائل الوضع والاصطلاح في اللغة كما نجدها عند الغزالي والآمدي لأسباب تتعلق بفهم الشريعة ومسائل القياس في الفقه.

أما عدم التفات المسلمين كثيرا الى البحث عن اصول اللغة العربية وتاريخها القديم فهو مدفوع بفكرة الاهتمام بالعربية منذ نزول القرآن الكريم كمعطى نموذجي. حتى لنجد الاهتمام بشعر الجاهلية موظفا في الغالب لخدمة القرآن والسنة من حيث فهمهما وتفسيرهما.

هذا كله لا يمنعنا من القول بأن اللغة العربية لغة سامية قديمة تطورت ونضجت في العصر الجاهلي، ثم نزل القرآن الكريم بها. وشرحت قواعدها بعد ذلك. وجاء عصر التدوين والترجمة واللقاء بنتاج الثقافات الفارسية والهندية واليونانية، بعد الفتوح الاسلامية للعراق وفارس والشام ومصر وغيرها، الأمر الذي جعل من العربية لغة علم وفلسفة الى جانب كونها في الأساس لغة أدب ودين. ويمكننا الآن عند توفر المادة البحثية ان نتابع علميا تطور اللغة العربية القديمة كلغة سامية، وكذلك فترات تطورها عبر التاريخ. واذا كان القرآن الكريم قد ثبّت النواحي الصرفية والنحوية في بناء العربية الفصحى فان الجوانب الدلالية (تطور عدد المفردات وتغير معانيها، وأساليب التعبير) قد قطعت أشواطا بعيدة من التغير في ضوء حاجات العصر ومكتشفاته. فلو أخذنا نصوصا شعرية لأمرىء القيس، وحسان بن ثابت، وأبي نواس، والبحتري، وايليا ابي ماضي، على سبيل المثال، وهؤلاء شعراء من فترات مختلفة، لرأينا طرفا سريعا من التغير في العربية الفصحى، وهو تغير في المفردات والدلالة والتعبير.

وبالاضافة الى امكان استخدام المنهج التاريخي، يمكننا أن نستخدم المناهج العلمية المعاصرة الأخرى التي تعنى بالوصف والتحليل الآني — **Synchronic** من أجل معرفة أكثر دقة عن العربية وواقعها الاجتماعي الذي يحتضنها. والعربية لا تستعصي على البحث اللساني من ناحية بنيوية توليدية. (استثمار وربما نقد نظرية تشكومسكي — راجع مقالنا السابق)، أو من ناحية نفسية (مراحل الاكتساب والتعلم اللغوي، مثلا)، أو من ناحية اجتماعية (العلاقة بين الواقع الاجتماعي والاستخدام اللغوي عند الافراد وفي المؤسسات، مثلا)، أو من ناحية رياضية أو تطبيقية، أو غيرها (راجع مقالنا السابق).

أحب أن أؤكد هنا أن ضرورة الاهتمام بالعربية في ضوء العلوم اللسانية الحديثة لا يلغي أهمية الدراسة اللسانية التي ورثناها عن أسلافنا، وربما ساعدتنا الدراسات المعاصرة على فهم أعمق، ونقد أكثر ثراء ورحابة، للانجازات اللسانية التراثية في حضارتنا.

وانتقل هنا الى مناقشة نظرية حاول الدكتور عياشي أن يصوغها عن بقاء اللغة العربية أو بقاء قواعد العربية الفصحى.

## الفطرة وبقاء اللغة العربية

يرى الدكتور عياشي ان الفطرة الاسلامية، التي فطر الله الناس عليها، هي سبب الحفاظ على قواعد اللغة العربية وبقائها. فهو يُرجع الأمر الى «عنصر الرؤية الحضارية — رأس المال الفكري كما يقول بعضهم — والذي ينقسم الى ثلاثة أقسام: تبني الاسلام للفطرة، طريقة عمل الفطرة وانطباق المفهوم الاسلامي عليها، وأثر المفهوم الاسلامي في الفطرة وحفاظه على قواعد اللغة» (ص/٢). ويبدو لي أن هذا الكلام مليء بالغموض الشديد!

ويقول عن القسم الأول انه «عندما جاء الاسلام أصبح المفهوم اللغوي صورة لحضارته، وليس ذلك عن طريق احلاله لغة مكان لغة ولكن عن طريق تبنيه للعامل الفطري الذي تقوم عليه كل اللغات كجملة من الاستعدادات الكامنة عند الانسان» (ص/٣).

ولست أفهم معنى قوله «أصبح المفهوم اللغوي صورة لحضارته»، فهو لا يشرح هذه المسألة.

«أما أن الاسلام لم يحل لغة مكان أخرى فنحن نسأل الدكتور عياشي اين ذهبت اللغات الرسمية لأهل العراق والشام ومصر عندما فتحها الاسلام؟ فالعربية مثلا حلت محل السريانية واللاتينية كأداة للعلم والفكر.

وعلينا أن نلاحظ أن الاسلام فتح فارس وأقام المسلمون في الأندلس حوالي سبعة قرون، لكن العربية لم تحل محل الفارسية أو الاسبانية وذلك لأسباب حضارية تعود الى كون الفارسية والاسبانية لغتين عريقتين لهما تراث منافس. ولو ان الفارسية استعارت شكل الخط النبطي/العربي. وبهذا عملت القوانين المتعلقة بالاحتكاك اللغوي، والهيمنة اللغوية، وازاحة اللغات على العربية وغيرها من اللغات دون تفريق [٢].

ويوضح الدكتور في القسم الثاني «طريقة عمل الفطرة...»

---

(٢) ليس من باب المبالغة التأكيد على أهمية دراسة المباحث اللسانية وتحليلها وكشف أسس تطورها عند المسلمين. بل هو واجب ديني وعلمي ووطني. ولست أعرف مشاريع بحث كبيرة على مستوى ضخامة الموروث العلمي الاسلامي تناولته من الزوايا التي نحاول اثارتها وتحديدها في بحثنا. ولعل كتاب الدكتور عبدالسلام المسدي الذي أشرنا اليه في البحث الماضي بشكل استثناء في طموحه (انظر بحثنا: «الحضارة والبحث اللساني»).

صفتين للفطرة هما «صفة آلية تتمثل في عدد من القوانين المحددة، وصفة توليدية أو ابداعية خلاّقة». والشرع كذلك يتكون من «جملة من النظم ثابتة وخلاقة». وهكذا ينطبق الاسلام على الفطرة.

**ثمّ** ينتقل الى شرح القسم الثالث، فيبدأ بأطروحة «تشكومسكي» التي تقول بالاستعدادات الفطرية، الكامنة عند الانسان، للاكتساب اللغوي. ويذكر عمليات التحويل والتوليد الخلاقة التي تحول البناء العميق الى البناء السطحي وهو الكلام. ثم يوضح علاقة المفهوم الاسلامي للفطرة وعنصر الرؤية الحضارية بقوله: «واذا كنا نلح على العنصر الحضاري في المفهوم الاسلامي، فلأننا نراه يحتل في الفطرة ما يحتله العنصر الآلي الذي تقدمه النظرية التوليدية» (ص/٣).

- وأتساءل هنا كيف يمكن لباحث ان يربط بين المفهوم الاسلامي للفطرة وبين فكرة الاستعداد الفطري للاكتساب اللغوي عند تشكومسكي أو غيره؟ على أي أساس، لماذا؟ هذا العمل لا يعدو أن يكون، في أحسن أحواله، نوعا من المقابلة الاستعارية أو المجازية التي لا تستند الى دليل عقلي أو نقلي. فلا المنطق ولا الدليل يمكن أن يعضد هذا الطرح، خاصة وانه يغفل مسألة البناء العميق، والتوليد/ التحويل، والبناء السطحي في علاقته بنمو اللغة العربية وبقاء قواعدها.
- وكذلك فاني استغرب من تناقض الدكتور في رغبته أن يستخدم «عنصر الرؤية الحضارية ليساعدنا على القيام بغربلة المفاهيم والمناهج الواردة من الغرب» (ص/٢)، وبين هذه المقابلة بين المفهوم الاسلامي للفطرة والشرع وبين الاستعدادات اللغوية الفطرية عند تشكومسكي، والتحويلات والتوليدات اللغوية بعد ذلك.
- يريد الدكتور أن يشرح بفكرة الثابت والمتحول، كما يطرحها من خلال هذه المقابلة، مسألة بقاء قواعد اللغة العربية الفصحى. ونقول له أن تشكومسكي ليس مهتما بالمسألة التاريخية للغة على الاطلاق. وهو يدرس أي لغة أو لهجة من حيث بنائها العميق وعمليات التحويل التي تتم عليه داخل الذهن البشري ليسفر عن البناء السطحي «وهو الكلام». كل ذلك في موقف الحديث أو الكلام «لغة التخاطب». وهو لا يعير للتاريخ أو الظروف الاجتماعية أية أهمية على الاطلاق. انه يدرس الكلام — **Speech** باعتباره صادرا عن البناء العميق الذي يمثل اللغة — **Language** لظاهرة عالمية انسانية متشابهة في عناصرها التحتية. واذا فهمنا شيئا عن عمليات التحويل والتوليد فاننا سنفهم شيئا عن طريقة عمل العقل الانساني والتعلم بوجه عام. هذا هو الجانب الكبير في اهتمامات تشكومسكي اللغوية.
- لقد كثر الجدل حول مسألة البناء العميق وعناصره. وتطورت النظرية، منذ طرحها في نهاية الستينات الى تيارات يقودها زملاؤه وطلابه الى جدل طويل عريض. ويبقى صحيحا أن معظم دارسي اللسانيات المعاصرة لا يجادل في مسألة الاستعداد الفطري للاكتساب اللغوي. لكن الدكتور يقحم مسألة التوليد والتحويل بطريقة انشائية جاهزة، دون أن يقدم أي مثال لمسألة التحويل والتوليد والبناء العميق وعلاقة ذلك بتطور العربية في ضوء الفطرة الانسانية.
- لست أدري كيف انتهى الكاتب الى القول: «ان الفائدة التي جنتها العربية وجعلتها عبر تطورها تمتاز عن غيرها من اللغات هي أنها ارتبطت ارتباطا عضويا بالعنصر الحضاري مما أدى الى الثبات في بنيتها وقواعدها وجعلها في معزل عما أصاب غيرها» (ص/٤).

والحقيقة أن القرآن الكريم وعصر التدوين بعد ذلك بكل نشاطاته ثبَّت البِنَى النحوية والصرفية للعربية الفصحى. وظلت المفردات ودلالاتها وطرائق التعبير تتغير. ولقد كان لارتباط القرآن الكريم والتراث كله على تنوعه باللغة العربية، السبب الأول والأخير في بقاء قواعد اللغة العربية في هذه النواحي على مدى أربعة عشر قرنا. وهذا ما يجعل للعربية خصوصية واضحة في تاريخ اللغات. وقد توقعت ان يذكر الدكتور عياشي الآية الكريمة ﴿**انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**﴾ خاصة وانه يحاول ربط بقاء قواعد الفصحى بالمفهوم الاسلامي للفطرة.

وهكذا فبقدر ما أوضح الدكتور عياشي جانبا من المعنى الانساني للفطرة في الاسلام، بقدر ما قدم فكرة خاطئة مبتورة عن معنى البنيوية التوليدية التحويلية عند «تشكومسكي»[٣].

## خاتمة

لقد حقق المسلمون انجازات علمية متنوعة في العلوم اللسانية في ضوء معطيات حضارية متفاوتة ومتنوعة في التاريخ الاسلامي. وكذلك فان علينا أن نفهم الواقع الحضاري في الغرب ليتسنى لنا فهم تنوع الدراسة اللسانية وتطورها عندهم. وليس هناك ما يمنع من تطبيق المناهج العلمية الحديثة على اللغة العربية، دون اغفال للدراسة اللسانية التي يوفرها التراث.

**وقد** ناقشنا صعوبة استخدام أطروحة «تشكومسكي» ومزاوجتها بمفهوم الفطرة الاسلامية لشرح بقاء قواعد اللغة العربية الفصحى. واني لأدعو الى الحذر والدقة في استخدام الأطروحات العلمية من أجل ممارسة علمية جادة.

(٣) نحيل القاريء على بحثي تشكومسكي: «تأملات في اللغة» ١٩٧٥م، و«اللغة والمسؤولية» ١٩٧٩م واللذين رجعنا اليهما في بحثنا «الحضارة والبحث اللساني».

### في ذمة الله

**افتقدت الحركة الفكرية في المملكة العربية السعودية والعالم العربي مؤخرا واحدا من رجالاتها الذين عاصروا ركبها وحملوا مشاعلها.. انه الشاعر الأديب محمد بن علي السنوسي. تغمد الله الفقيد بواسع رحمته وألهم آله وذويه الصبر والسلوان.. انا لله وانا اليه راجعون.**



# الدفاع المدني في المملكة

## سلاح لحماية السكان والممتلكات

عبدالله الخالد / هيئة التحرير

قال تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ . من مفهوم هذه الآية الكريمة سننطلق للحديث عن رجال لا يترددون لحظة في اغاثة المستغيث ونجدة المستنجد، وكأنهم من قال فيهم صفي الدين الحلي:

**وفتية إن نقـل أصغوا مسامعهـم**
**لقولنا، أو دعوناهـم أجابـونا**

أولئك الرجال هم منسوبو الدفاع المدني في المملكة الذين سيكونون موضوعا لاستطلاعنا الذي سنتطرق فيه الى طبيعة عمل هذا الجهاز الحيوي والمهام التي يؤديها لحماية الارواح والممتلكات في أوقات السلم والحرب معا.

## ما هو الدفاع المدني؟

يعرف نظام الدفاع المدني هذا الجهاز بأنه: «مجموعة الاجراءات والأعمال اللازمة لحماية السكان والممتلكات العامة والخاصة من أخطار الحريق والكوارث والحروب والحوادث المختلفة، واغاثة المنكوبين وتأمين سلامة المواصلات والاتصالات وسير العمل في المرافق العامة وحماية مصادر الثروة الوطنية، وذلك في زمن السلم وحالات الحرب والطوارئ».

وهذا التعريف الشامل سيغير — دون شك — الفكرة القديمة السائدة لدى الكثير منا والتي كانت تنظر الى الدفاع المدني على أنه جهاز لاطفاء الحرائق، وان كانت المهمة الأخيرة واحدة من المهام التي شملها التعريف. والفكرة هذه لم تكن نابعة من فراغ اذ أنها مرتبطة بالمراحل التاريخية لنشأة الدفاع المدني والذي يتبين لنا من استعراض مسيرته خلال الواحد والأربعين عاما التي مضت على انشائه أنه بدأ على النحو التالي:

- تكونت أول فرقة ضمن جهاز أمانة العاصمة في مكة المكرمة سنة ١٣٦٦هـ.
- تحولت تلك الفرقة الى رئاسة عامة للمطافىء وكان ذلك سنة ١٣٦٨هـ وأصبحت تتبع جهاز مديرية الأمن العام.
- في سنة ١٣٨١هـ تحولت الى مديرية عامة للمطافىء تابعة لوزارة الداخلية.
- في الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول ١٣٨٥هـ، تحولت الى مديرية عامة للدفاع المدني تابعة للأمن العام.
- ثم تحولت الى شكلها الحالي مديرية عامة للدفاع المدني ترتبط بوزير الداخلية مباشرة.

ومن تعريف الدفاع المدني الوارد آنفا نستنتج ان هذا الجهاز الحساس ذو صلة وثيقة بمختلف القطاعات الحكومية، ولذلك نرى أن المجلس الأعلى للدفاع المدني قد تشكل من مجموعة من الوزراء والمسؤولين في الدولة برئاسة وزير الداخلية، وقد جاء تشكيله كالتالي:

| | |
|---|---|
| **صاحب السمو الملكي وزير الداخلية** | رئيسا |
| **معالي وزير المالية والاقتصاد الوطني** | عضوا |
| **معالي وزير الصحة** | عضوا |
| **معالي وزير التخطيط** | عضوا |
| **معالي وزير الزراعة والمياه** | عضوا |
| **معالي وزير التجارة** | عضوا |
| **معالي وزير الصناعة والكهرباء** | عضوا |
| **معالي وزير المواصلات** | عضوا |
| **معالي وزير الشئون البلدية والقروية** | عضوا |
| **معالي نائب رئيس الحرس الوطني المساعد** | عضوا |
| **سعادة رئيس هيئة الأركان** | عضوا |
| **سعادة مدير الأمن العام** | عضوا |
| **سعادة مدير عام الدفاع المدني** | عضوا |



سعادة الفريق هاشم عبدالرحمن يتحدث للقافلة عن نشاطات الدفاع المدني.

ويتألف جهاز الدفاع المدني من الآتي:

- مجلس الدفاع المدني.
- المديرية العامة للدفاع المدني.
- لجان الدفاع المدني.

## مهام الدفاع المدني:

يضطلع جهاز الدفاع المدني بمهام ومسؤوليات في أوقات السلم والحرب والكوارث، بفضل الامكانات الضخمة والطاقات الكبيرة، التي هيأتها الحكومة له منذ انطلاقته الأولى.

## مهام وقت السلم:

- الوقاية من الحوادث «السلامة العامة».
- مباشرة التدخل فور وقوع حوادث الحريق والقيام بعمليات الانقاذ والاسعاف والتقليل ما أمكن من خسائرها البشرية والمادية.
- اعداد الخطط لمواجهة حالات الحروب والكوارث.

وتتضمن مهمة الوقاية الأمور التالية:

[] تعزيز خطط التنمية العامة للدولة بتوفير مقومات الحماية والسلامة للقطاع البشري والاقتصادي بمجالاته المتعددة كالصناعة والتجارة والزراعة.

[] اتخاذ كافة الاجراءات والتدابير لمنع وقوع الحوادث والعمل على ازالة مسبباتها من المنشآت الصناعية والتجارية والزراعية والسكنية كافة.

[] تنظيم حملات التوعية في مجال السلامة باستخدام وسائل الاتصال كالكتيبات والنشرات والملصقات والأفلام والندوات وأسابيع التوعية والمؤتمرات والمعارض والصحافة والاذاعة والعروض الحية.

وتشمل مهام الدفاع المدني في مكافحة الحوادث ما يلي:

- الانتقال السريع الى أماكن الحوادث.
- العمل على انقاذ الأشخاص المهددين بالأخطار.
- السيطرة على الحوادث بمختلف الوسائل الفنية.
- تقديم الاسعافات للمصابين.
- اعداد تقارير فنية عن الحوادث المختلفة لمعرفة مسبباتها واتخاذ الخطوات الكفيلة للوقاية من مثيلاتها مستقبلا.

وفي مجال التخطيط والإعداد لحالات الحروب والكوارث تتخذ الأمور التالية:

[] إعداد الخطط وتنفيذ الأعمال بالتنسيق مع القطاعات ذات العلاقة.

[] إعداد غرف عمليات الطوارىء وتهيئتها.

[] تخزين المواد والتجهيزات اللازمة لاستمرار الحياة الطبيعية وقت الحروب والكوارث.

[] انشاء المخابىء.

[] إعداد المتطوعين وتهيئتهم وتدريبهم.

[] اجراء التجارب والتطبيقات لاختبار مستوى الأداء.

## مهام وقت الحرب والكوارث:

- تنظيم وسائل الانذار من الأخطار ومن الغارات الجوية.
- تقييد الاضاءة وتنفيذ خطط الاخلاء والايواء.
- مباشرة مكافحة الحرائق والانقاذ والاسعاف في المناطق المنكوبة.
- تحديد مناطق التلوث بالاشعاعات وإبعاد السكان عنها.

- اكتشاف القنابل التي لم تنفجر وإبطال مفعولها.
- التنسيق مع الجهات ذات العلاقة لتأمين سلامة المواصلات وسير العمل في المرافق العامة، وكذلك ازالة آثار الدمار الناجم عن الحرب.
- اعادة الحياة الطبيعية الى المناطق المنكوبة.

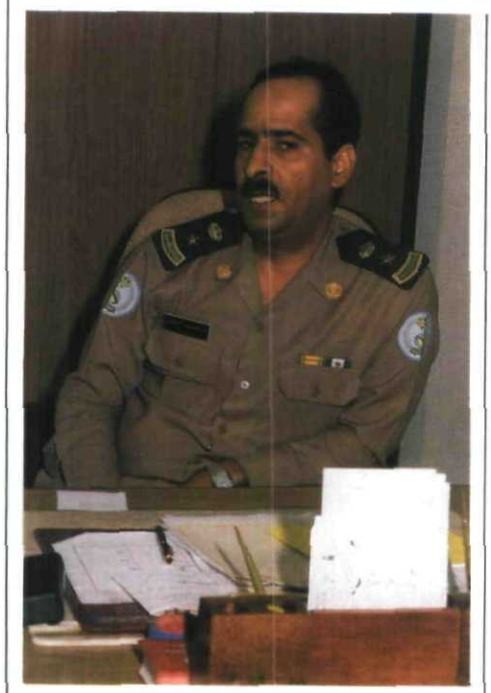
ولأداء المهام الواردة أعلاه والمناطة برجال الدفاع المدني، فقد حرصت الجهات المسؤولة عن هذا الجهاز بالتعاون مع الجهات الحكومية الأخرى على توفير كافة الامكانات حيث، عمدت الى ايصال خدماتها ونشرها في كل جزء من أجزاء المملكة المترامية الأطراف، وذلك من خلال ست عشرة ادارة موزعة على المدن الرئيسية، استقلت منها ادارة المنطقة الشرقية بعد أن أصبحت قيادة بمفردها، وادارات جدة ومكة والطائف بعد أن دمجت تحت اسم قيادة المنطقة الغربية. وترتبط بتلك الادارات مراكز ووحدات موزعة على مدن المملكة وقراها وهجرها كافة. كما أن هناك خمس فرق طوارىء مزودة بأحدث الآليات والمعدات والأجهزة الفنية المتطورة التي تمكنها من أداء خدماتها على مستوى من القدرة والفاعلية، وتوجد هذه الفرق في مناطق المملكة الخمس الرئيسية: الوسطى، والشرقية، والغربية، والشمالية، والجنوبية، بالاضافة الى وجود فرقة موسمية في مكة المكرمة.

وقد جهزت مراكز الدفاع المدني في أرجاء المملكة بأحدث الأجهزة والمعدات لتأدية مهام عملها على الوجه الأكمل، بالاضافة الى الطائرات العمودية للقيام بمختلف المهمات التي تتطلبها طبيعة الحوادث الطارئة ولمساعدة الفرق الأرضية وقت الحاجة. وتتلخص مهام هذه الطائرات فيما يلي:

- اخماد الحرائق بجميع أنواعها سواء البترولية منها أو الكيميائية أو حرائق المواد الاولية أو حرائق الغابات.
- انقاذ الاشخاص في عرض البحر أو من كان محتجزا بسبب الأمطار والسيول أو في العمائر الشاهقة أو في قمم الجبال أو الطرق الوعرة التي يصعب على الفرق الأرضية الوصول اليها.
- نقل المصابين الى المستشفيات والمستوصفات والمراكز الصحية المختلفة في أقصر وقت ممكن مع امكانات تقديم الاسعافات الاولية على الطائرة نفسها.
- البحث عن المفقودين في الصحراء والمناطق الجبلية والبحرية.
- مساندة قطاعات الأمن الداخلي كافة في مهامها الحيوية المختلفة.

وللوقوف على بدايات جهاز الدفاع المدني في المملكة، ومهامه، والخطط التي يتبناها المسؤولون فيه من أجل تطويره، التقينا بسعادة الفريق هاشم محمد عبدالرحمن، مدير عام الدفاع المدني، الذي حدثنا، عن بدايات الدفاع المدني والتطور الذي شهده خلال مسيرته قائلا: خلال الفترة التي مضت من عمر الدفاع المدني والتي تجاوزت الأربعين عاما، مرَّ هذا الجهاز بحركة تغير كبيرة نقلته الى مصاف الأجهزة المماثلة في بعض الدول المتقدمة، ذلك لأن هذه البلاد خطت خطوات طموحة خلال خطط التنمية الثلاث الماضية، والخطة الرابعة التي نعيشها حاليا مما جعلها تنتقل في شتى مجالات حياتها الى هذا المستوى المرموق سواء في مجال الصناعة أو الزراعة.

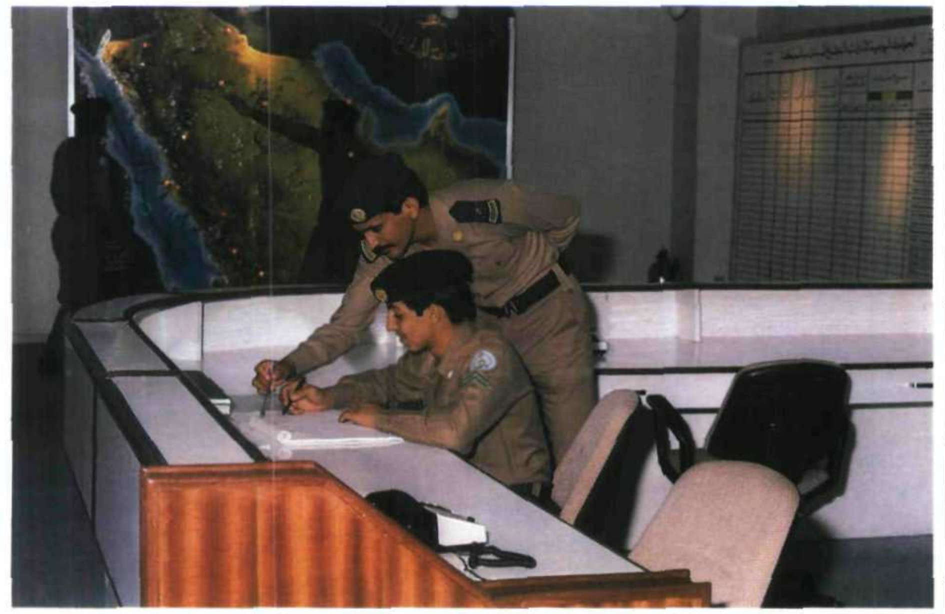
وفيما يتعلق بالدفاع المدني كان لا بد أن يساير ركب التطور بما يجعله في مستوى الأهلية، لأن الدفاع المدني يعرف بأنه حارس هذه الثروات. ونحن اذ نتحدث عن الدفاع المدني، لا بد لنا أن نقول: ان الدفاع المدني لا يعرف لدى المواطن الا بأنه جهاز اطفاء، ولكن لا بد للمواطن أن يدرك أن عمل الاطفاء هو جزء من عمل الدفاع المدني، وهو — مع ذلك — ليس جزءا رئيسيا. وقد يكون الدفاع المدني قد اشتهر بتلك الصفة لأن الله قد مَنَّ على هذه البلاد بالسلام والطمأنينة والبعد عن الكوارث الطبيعية التي تتعرض لها بعض دول العالم اما بشكل هزات أرضية أو ثورات بركانية، أو بشكل فيضانات وأعاصير مدمرة.


سعادة المقدم عبدالعزيز ريس يستعرض مهام الادارة العامة للتدريب.

### دور الدفاع المدني في مناطق المشاعر المقدسة:

عن هذا الدور الحيوي يقول الفريق هاشم عبدالرحمن: لقد أشرت في السابق اشارة عابرة الى الحج وشؤون الحجاج، ولكن فيما يتعلق بدور الدفاع المدني في مناطق الحج فهو — بلا شك — من أهم وأكبر الادوار لسببين رئيسيين: السبب الأول هو أن وسائل السكن هناك لا زالت من الخيام والقماش الذي يمكن في أي لحظة ان يتسبب في خطر كبير على حياة الأشخاص. وهناك اجراءات اتخذت من أجل سلامة الحجاج بهذا الصدد متوخين كل الوسائل المناسبة في هذا الظرف ألا وهو موسم الحج.

أما السبب الثاني فهو: ان هذا الجمع الفريد الذي تتحكم فيه ثلاثة عناصر، عنصر الزمن، وعنصر المكان، والعنصر الاجرائي، وأقصد بالاجرائي انتقال الحجاج من مكان الى آخر في الزمن المحدد لكل شعيرة، مثال ذلك المبيت بمنى قبل الصعود الى عرفة والوقوف بعرفة ثم وقت النفرة الى المزدلفة فكما هو معلوم ان شعائر الحج مرتبة وتأتي كلها متناسقة


جانب من غرفة العمليات المركزية في المديرية العامة للدفاع المدني بالرياض.

الحدوث في زمن محدد ومكان محدد، كل هذه تتطلب من المسؤولين في الدفاع المدني بالمشاعر المقدسة جهدا مضاعفا لوضع جميع الاحتمالات والحلول للمشاكل المتوقعة. ونحن في الدفاع المدني —وفي موسم الحج بالذات— نأخذ بالاعتبار توفير الخدمات الصحية الاسعافية والعلاجية، وخدمات الاخلاء والايواء، وخدمات الكساء والغذاء، وتوفير الحاجة من الماء، هذه هي الأسس التي نتبعها في تقدير أي عمل يدخل ضمن نطاق الدفاع المدني.

### المنظمة الدولية للحماية المدنية:

وهي تعنى بشؤون الحماية المدنية، وتقوم المملكة برئاستها، وقد حدثنا سعادة الفريق هاشم عبدالرحمن عن هذه المنظمة قائلا: المنظمة الدولية للحماية المدنية هي منظمة تأسست قبل خمسين عاما. وقبل ستة وثلاثين عاما عقدت اجتماعات في امارة «موناكو» انتهت الى التوصية بقيام تنظيم محدود يرعى شؤون السلامة والحماية المدنية في بلدان العالم، وقد كبر هذا المفهوم وتطور فتأسست في جنيف قبل ما يزيد على الثلاثين عاما المنظمة الدولية للحماية المدنية بعدد محدود من الدول لا يزيد على ١٧ دولة. وبعد ادراك أهمية الدور الانساني لهذه المنظمة تزايد عدد أعضائها حتى وصل الآن الى ٤٢ دولة. وهذه المنظمة تقوم على تحقيق الحماية المدنية في اقطار العالم من خلال عقد الندوات والمساعدة في عمل الأنظمة واجراء التدريب وبث الوعي للحماية وتنسيق أعمال الاغاثة والتطوع وكل أعمال الدفاع المدني واشعار الدول بضرورة التنسيق فيما بينها وبوجود المجالات الكفؤة سواء في هذه الدولة أو في تلك الدولة بما يساعد أية دولة على التعرف الى المعاهد ومراكز التدريب في مجالات الدفاع المدني في الدول الأخرى.

وقد انضمت المملكة الى هذه المنظمة منذ أكثر من عشرين عاما. وكانت عضوا فعالا فيها ممّا جعلها — بما قدمته من الأدوار الانسانية الكبيرة— أهلا لرئاستها. وقد تم اختيار المملكة لهذا المنصب في اجتماع الجمعية العمومية للمنظمة الذي عقد في تونس عام ١٩٨٦م.

والمنظمة بشكلها الحالي هي أشبه بمركز معلومات لتزويد الدول الأعضاء بالمعلومات الضرورية في أمور الحماية المدنية وهي لا تقوم بأعمال الاغاثة الفعلية، لأن ذلك من مهام منظمات الأمم المتحدة للاغاثة، وان كان قد طرح مؤخرا مشروع لتولي هذه المنظمة أعمال المشاركة الفعلية في أعمال الاغاثة ودرء الأخطار والمساعدة في التخفيف من وقع الكوارث الطبيعية وغيرها في الدول المنكوبة ومساعدة السكان المدنيين فيها.

### الادارة العامة للتدريب في الدفاع المدني:

ان جهازا حساسا كجهاز الدفاع المدني يحتاج الى جهة فاعلة لرعاية شؤون التدريب المكثف الذي يتلقاه افراده لرفع قدراتهم العملية ولمتابعة ما يستجد في حقول الدفاع المدني من تقنيات وأساليب حديثة. والجهة التي ترعى شؤون التدريب في المديرية العامة للدفاع المدني هي الادارة العامة للتدريب التي يقول عنها مديرها سعادة المقدم عبدالعزيز عبدالرحمن ريس: انها تتألف من أربع ادارات رئيسية، فهناك ادارة التعليم والبرامج المسؤولة عن مراكز التدريب ومعهد الدفاع المدني، ومسؤوليتها عن هذه الجهات ليست مسؤولية ادارية وانما مسؤولية فنية حيث تتولى مراقبة البرامج التي تقوم باعدادها ويجري تنفيذها من قبل تلك الجهات، وهي تقوم كذلك باعداد النشرة السنوية للتدريب التي تتضمن جميع انواع التدريبات، وبرامج التدريب اليومي، كما تقوم برصد النتائج التي يحصل عليها أفراد الدفاع المدني وضباطه أثناء تدريباتهم سواء كانت بشكل شهادات أو بشكل اكمال دورات تدريبية عملية، كما أنها تقوم بتسجيل تلك الدورات التي يحصل عليها منسوبو الدفاع المدني في جهاز الحاسب الآلي.

أما الادارة الثانية فهي ادارة الابتعاث والدورات وهي مسؤولة عن الدورات التي يتم عقدها خارج نطاق المديرية العامة للدفاع المدني سواء داخل المملكة أو خارجها، وسواء كانت تلك الدورات أكاديمية أو دورات فنية تخصصية، وهي تضع خططها وفق الامكانات البشرية والمالية، وذلك في بداية كل سنة مالية، سواء من ناحية تقرير عدد البعثات الخارجية أو من ناحية متابعة المبتعثين فعليا الى الخارج ومدد تدريباتهم والبرامج التي من الممكن لهم الحصول عليها أو الاستمرار فيها. وهي تتلقى تقارير من الادارات المختلفة حول البرامج التي يتلقاها أفراد الدفاع المدني من حيث سلبياتها وايجابياتها.

أما الادارة الثالثة، وهي «ادارة المؤتمرات والندوات» فقد انشئت حديثا بناء على خطة مستحدثة في الدفاع المدني بديء


غرفة عمليات لجنة الحماية المدنية بقيادة المنطقة الشرقية.


سيارة مراقبة ونقل الحوادث تلفزيونيا لغرفة الطوارىء.

بتنفيذها قبل ثلاث سنوات، وهي خطة عقد المؤتمرات سواء كانت خاصة بالدفاع المدني على مستوى المديرية العامة أو مؤتمرات عامة في شؤون الأمن العام والسلامة والانقاذ، بالاضافة الى الندوات العلمية والتخصصية التي تعقد في حدود المديرية العامة، أو بين الدفاع المدني والجمهور، او بين الدفاع المدني في المملكة وأجهزة الدفاع المدني في الدول الأخرى كندوات مشتركة. وتقوم هذه الادارة بالتخطيط لتلك الندوات والمؤتمرات، وبمتابعة برامجها من حيث أوراق العمل ومواعيد المؤتمرات والندوات والأشخاص المحاضرين، وكذلك رصد ومتابعة التوصيات والقرارات التي يتم اتخاذها — عادة — في مثل تلك المؤتمرات، ومن ثم رفع التقارير حول سير تنفيذ تلك القرارات، واعداد التقارير حول الموضوعات التي تم تنفيذها والنتائج التي تمّ التوصل اليها لرفعها للمؤتمر القادم.

أما الادارة الرابعة وهي «ادارة التقييم» فتضم ضباطا ممن حصلوا على دورات متقدمة في الدفاع المدني سواء داخل المملكة أو خارجها، وتنحصر مهمة هذه الادارة في المشاركة مع ادارة الابتعاث والدورات التي تقوم بتبليغها عن الدورات التي تعقد في حدود المديرية العامة للدفاع المدني أو خارجها حيث ترسل الادارة الأخيرة صورا من العقود لادارة التقييم وكذلك صورا من البرامج وكشفا بأسماء الملتحقين بالدورات، ومن مهام هذه الادارة أيضا متابعة تنفيذ البرامج ورفع تقارير يومية عن مستويات الطلبة الملتحقين بالدورات، ضباطا وأفرادا، والمراحل التي اجتازها كل منهم.

هـذا مـن حيث الأعمـال التخطيطية التي تقـوم بها الادارة العامـة للتدريب، أمـا من حيث الأعمال التنفيذية فهناك ستة مراكز تدريب تابعة لهذه الادارة منتشرة في معظم أنحاء المملكة وهي: مركز تدريب الطائف، ومركز تدريب المنطقة الجنوبية في عسير، ومركز تدريب المنطقة الشمالية في تبوك، ومركز تدريب المنطقة الشرقية بالدمام، ومركز تدريب المنطقة الوسطى بالرياض، ومركز تدريب حائل. ومهمة هذه المراكز هي تنفيذ البرامج التدريبية التي تقوم باعدادها الادارة العامة للتدريب، وكذلك الدورات الحتمية — الاساسية — لكل ملتحق بالدفاع المدني، وتقوم كذلك بعقد الدورات الخاصة بالترقيات والدورات التنشيطية للأفراد في كل منطقة حسب احتياجاتها.

ومن الجهات التابعة لهذه الادارة «معهد الدفاع المدني». وهذا المعهد له برامجه الخاصة به وسياسته التعليمية الخاصة، ويلتحق به الراغبون في الانخراط في سلك الدفاع المدني من حملة شهادة الثانوية العامة، حيث يتلقون دورة لمدة سنة دراسية، تتعلق بأعمال الدفاع المدني عموما، وهي ليست دورة تخصصية بحيث أن المتخرج يلتحق بأي مجال من مجالات الدفاع المدني التخصصية ومن ثم يتم صقله في ذلك المجال من قبل الجهة التي يلتحق بها عن طريق الدورات التنشيطية. ويستقبل هذا المعهد طلابا من الدول الشقيقة ومن المؤسسات الحكومية المختلفة والمؤسسات العسكرية. كما يتولى المعهد تنظيم الدورات التنشيطية للضباط من منسوبي الدفاع المدني.

### لجان الحماية المدنية:

ان هذه اللجان المنتشرة في المناطق الوسطى والغربية والشرقية والجنوبية انما هي صورة مصغرة للمجلس الأعلى للدفاع المدني، وهي تشكل عادة من سمو أمير المنطقة رئيسا، وسمو نائبه نائبا للرئيس، وعدد من مسؤولي القطاعات الحكومية التابعة للوزارات والجهات الحكومية الأخرى التي يتشكل منها المجلس الأعلى للدفاع المدني. ومن مهام هذه اللجان وضع ودراسة خطط الطواريء في مناطقها والاشراف على تنفيذها بالدقة المطلوبة لتلافي الأخطار الناجمة عن الكوارث الطبيعية وغيرها، ومتابعة تنفيذ مهام الانقاذ والاخلاء والايواء في الأماكن المنكوبة. وتكون لدى هذه اللجان خطط جاهزة للتنفيذ محفوظة في الحاسب الآلي وشاملة لكافة الاحتمالات. وتتم مراقبة سير تنفيذ عمليات مواجهة الطوارىء ومتابعتها من خلال غرفة عمليات مجهزة بأجهزة اتصال مرتبطة بكافة الجهات ذات العلاقة وبجهاز للحاسب الآلي وأجهزة لعرض الشرائح المصورة تعطي صورة دقيقة لمدن وقرى وشوارع المناطق التي تقع فيها تلك اللجان.

### قيادة الدفاع المدني بالمنطقة الشرقية:

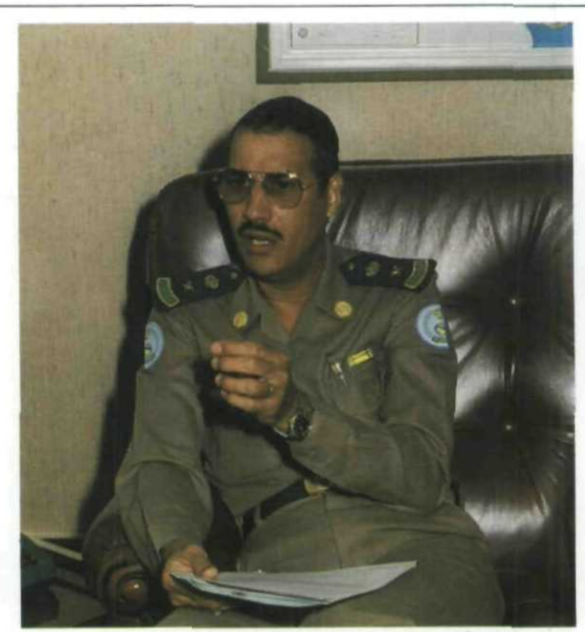
تعتبر المنطقة الشرقية واحدة من أكبر مناطق المملكة حيث تغطي حدودها الادارية مساحة تقرب من ثلث مساحة المملكة، كما أن هذه المنطقة تعتبر المنطقة الرئيسية التي تتركز فيها صناعة الزيت والغاز والصناعات البتروكيميائية، كما أنها تضم أكبر مرافىء تصدير الزيت في المملكة، بالاضافة الى طبيعة المنطقة الزراعية التي تتمثل في وجود مساحات شاسعة من بساتين النخيل في كل من واحتي الأحساء والقطيف. كل ذلك جعل هذه المنطقة تتميز بأهمية خاصة أدركتها حكومتنا الرشيدة منذ زمن بعيد مما جعلها تولي هذه المنطقة جل اهتمامها في شتى المجالات، ولعل الدفاع المدني هو واحد من أهم تلك المجالات نظرا للأسباب الآنفة الذكر، ومن هذا المنطلق، تحولت ادارة الدفاع المدني في المنطقة الشرقية من ادارة الى قيادة للدفاع المدني يرأسها سعادة المقدم محمد صالح مغربي. وللوقوف على الأعمال التي تضطلع بها هذه القيادة والمهام التي تؤديها والادارات والأقسام التابعة لها، كان لنا لقاء مع المقدم المغربي الذي حدثنا قائلا: ان قيادة الدفاع المدني بالمنطقة الشرقية تغطي اعمالها كافة الحدود الادارية لهذه المنطقة حيث تصل خدماتها الى الرقعي وحفر الباطن والخفجي في الشمال وسلوى وجسر الملك فهد في الجنوب الشرقي ومنطقة



جانب من المستودعات المركزية بقيادة الشرقية.



مركز العدامة للدفاع المدني بالدمام.



سعادة المقدم محمد مغربي في حديث عن قيادة المنطقة الشرقية.



قيب علي القحطاني يساعده عبدالله بن جلوي في اسعاف أحد المصابين في السيارة المجهزة طبيا.

طائرة اطفاء عمودية اثناء التدريب في قاعدة الطيران العمودي بالظهران.

الاحساء واطراف الربع الخالي جنوبا وخريص وطريق الرياض — الدمام غربا. وهي من حيث المهام الاساسية مشابهة لمثيلاتها من قيادات المملكة المختلفة مع وجود بعض الاختلافات البسيطة في التجهيزات نظرا لطبيعة المنطقة الصناعية والبترولية، والتي تتطلب أجهزة مغايرة تماما لبقية الأجهزة المستخدمة في المناطق الأخرى غير الصناعية. وقد أدى تحول هذه الادارة الى قيادة، الى تحقيق فوائد كبيرة منها على سبيل المثال:

- تحول جميع المراكز في المدن الرئيسية كالدمام والخبر والاحساء والجبيل والقطيف الى ادارات رئيسية لها صلاحيات ادارية ومالية ادت الى زيادة في الملاك من الأفراد والآليات، وهذا التحول بالطبع دفعها الى الامام لتقديم عطاء أفضل.

- تفرغ القيادة بالمنطقة الشرقية الى الأمور التخطيطية والتنظيمية والتوجيهية وأعمال المراقبة، بعد أن تحولت جميع الأعمال الميدانية الى الادارات، وقد أدى ذلك الى وجود فرصة للقيادة لمراقبة الأعمال الميدانية وتصحيح الأخطاء التي قد تقع عند مباشرة الحوادث.

- زيادة في الصلاحيات المالية والادارية لم تكن موجودة في السابق عندما كانت القيادة ادارة، وهذا سيعطيها مرونة كافية لتسيير دفة العمل دون الرجوع في الكثير من الأمور الى المديرية العامة.

- العمل على انهاء معظم الاجراءات والمعاملات التي تتعلق بمصالح المواطنين، وخاصة في أمور تتعلق بالسلامة العامة والحماية المدنية وبعض الأمور المالية مما يقع في حدود صلاحيات القيادة.

وتسعى هذه القيادة جاهدة لرفع مستوى الأفراد العاملين بها وذلك كي تتناسب عطاءاتهم مع ما تهيأ لهم من حوافز مادية ومعنوية، ولهذا فقد خططت هذه القيادة لانشاء مدينة متكاملة ستكون — باذن الله — الأولى من نوعها في الشرق الأوسط وسيكون لها الدور الكبير في تغيير مسار تدريب أفراد الدفاع المدني والجهات ذات العلاقة باعمال الدفاع المدني الرئيسية منها والمساندة في حالات الطوارىء.

إن قيادة الدفاع المدني بالمنطقة الشرقية ماضية الآن في برامجها التدريبية المكثفة في مركز تدريب القيادة الواقع في مدخل ميناء الملك عبدالعزيز، وهي ماضية — ايضا — في متابعة تنفيذ برنامج الخطط الفرضية للمرافق الهامة مثل المدارس والمستشفيات والمصانع.. الخ. وهذا بالطبع يجعل الفرد على اتصال دائم ومستمر بعمله ولديه الخلفية التامة في مواجهة أي حدث وفي أي مكان أو زمان، كما أن تدعيم مركز التدريب بالمنطقة الشرقية بعقد الدورات التخصصية العالية يؤدي الى رفع قدرة الأفراد في مجالات العمل. والقيادة ماضية في عقد دورات في الاطفاء والانقاذ والاسعاف للمواطنين والمقيمين العاملين في القطاعات الحكومية والأهلية مثل أصحاب محطات الوقود والورش والمصانع وطلبة المدارس بمختلف مراحلها وذلك ايمانا من القيادة بأنه كلما كثر التدريب على أعمال الاطفاء والانقاذ والاسعاف كبرت قاعدة رجال الدفاع المدني وقلّت المخاطر التي تهدد حياة المواطنين والمقيمين.

وتسعى القيادة الى ايجاد تجاوب أفضل مع تعليمات الدفاع المدني من قبل المواطنين والمقيمين عن


نموذج لمدينة التدريب على أعمال الدفاع المدني المزمع اقامتها في المنطقة الشرقية.


مجموعة من الطيارين أثناء المحاضرة الصباحية، ويبدو النقيب علي الجوفي، قائد القاعدة، الأول من اليمين.



عدد من افراد طاقم صيانة الطائرات العمودية بقاعدة الظهران.



اثنان من فنيي الصيانة يقومان باعمالها في قاعدة الظهران.

عدد من أفراد الدفاع المدني في مكتبة قيادة الشرقية.

طريق عقد الندوات والدورات في المدارس والمشاركة في المناسبات المختلفة بتوزيع الكتيبات والملصقات المتعلقة بالتوعية والارشاد. وهي تسعى الى الحصول على مشاركة وسائل الاعلام المختلفة في حملات التوعية. فنحن في القيادة بشكل خاص وفي المديرية العامة — بشكل عام — نسعى لأن يكون كل فرد يعيش على هذه الأرض فردا من أفراد الدفاع المدني، كما نسعى لأن تكون شروط السلامة ممارسة فعلية يومية لكل فرد وفي أية لحظة.

## الفروع التابعة لقيادة المنطقة الشرقية:

تتشكل فروع قيادة الدفاع المدني بالمنطقة الشرقية مما يلي:

- ادارات ومراكز الدفاع المدني المنتشرة في أرجاء المنطقة الشرقية.
- قيادة طوارىء المنطقة الشرقية.
- مركز التدريب في المنطقة الشرقية.
- الصيانة المركزية بالمنطقة الشرقية.
- المستودعات المركزية بالمنطقة الشرقية.
- قاعدة الطيران العمودي بالمنطقة الشرقية.

وتسعى هذه الجهات مجتمعة ضمن هيكلية القيادة الى تقديم أفضل الخدمات للمواطنين والمقيمين بما يقلل من الأضرار والأخطار الناجمة عن الحوادث، وهي تقدم خدمات الانقاذ والاسعاف والاطفاء على مدار الساعة.

## قاعدة الطيران العمودي بالشرقية:

هي واحدة من أربع قواعد منتشرة في مناطق الوسطى والغربية والجنوبية. ومن أجل التعرف الى أعمالها والمرافق التي تضمها كان لنا لقاء مع قائدها النقيب الطيار علي عبدالله الجوفي الذي حدثنا قائلا:

تضم قاعدة الطيران العمودي بالشرقية أربع طائرات عمودية، ثلاث منها للاطفاء والانقاذ وتستخدم أيضا في عمليات المساندة والنقل في حوادث السيول والكوارث والبحث عن المفقودين، وطائرة رابعة هي عبارة عن مستشفى طائر يستطيع اجراء العمليات الجراحية للحالات الخطرة قبل وصولها للمستشفى وهذه الطائرة مجهزة بكافة الأجهزة الطبية الضرورية. ويبلغ عدد الطيارين العاملين في القاعدة حاليا اثني عشر طيارا جميعهم من السعوديين بالاضافة الى وجود ثمانية عشر فنيا سعوديا يمارسون أعمال صيانة هذه الطائرات.

وحيث أن التدريب في مجال الطيران لا يحد بوقت معين، فان الطيار والفني يعتبران في حالة تدريب متواصل حيث يتلقى منسوبو القاعدة من طيارين وفنيين تدريباتهم في مركز التدريب بالقاعدة ويضم برنامج التدريب محاضرات صباحية يومية بالاضافة الى التدريبات العملية على الصيانة والتشغيل والتدريبات الصباحية الخاصة بالطيران والدراسة الأرضية التي يتلقاها الطيار والفني بصفة دورية ووفق وسائل تعليمية وتدريبية متطورة.

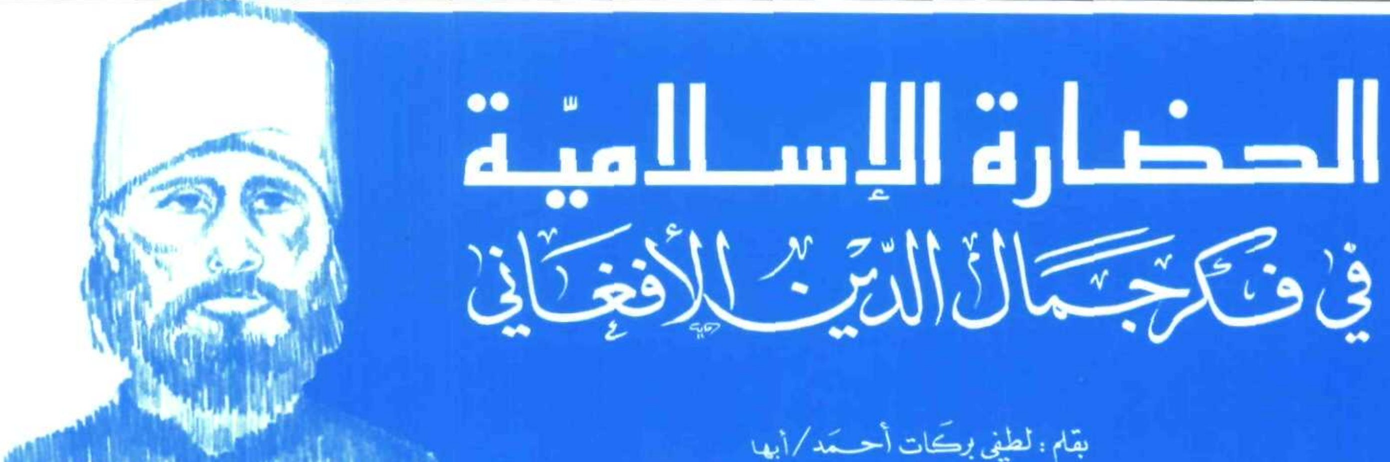
وتغطي نشاطات قاعدة الطيران العمودي بالشرقية والتي يقع مقرها في الظهران المناطق الادارية التي تغطيها قيادة المنطقة الشرقية وهي تقوم كذلك بمشاركة بقية قطاعات الدفاع المدني في أعمال الحج سنويا وذلك لضمان توفير أفضل الخدمات لضيوف الرحمن، حجاج بيت الله الحرام.

كانت تلك جولة سريعة استعرضنا خلالها نشاطات الدفاع المدني في المملكة والأعباء الهامة المناطة بأجهزته المختلفة، آملين أن نكون قد وفقنا في اعطاء الصورة المشرقة لرجال هذا الجهاز الحيوي الحساس □



جانب من معرض الدفاع المدني في قيادة الشرقية.

**تصوير:**
حسين رمضان، رضي الليف — ارامكو



# الحضارة الإسلامية في فكر جمال الدين الأفغاني

بقلم: لطفي بركات أحمد / أبها

سنحاول من خلال دراستنا هذه إلقاء الضوء على أسس الحضارة الاسلامية من منظور شخصية اسلامية معروفة هي شخصية جمال الدين الأفغاني الملقب بالسيد جمال الدين بن السيد صفتر الذي نشأ في أسرة عريقة في المجد والشهرة في بلاد الأفغان في احدى قرى «كنر» من أعمال كابل، وكان مولده عام ١٨٣٩م. وقد بدأ دراسته بتحصيل العلوم العربية من نحو وصرف ومعان وبيان وتاريخ، ثم درس العلوم الشرعية من تفسير وحديث وفقه وأصول. ولما أكمل دراسته الاسلامية، سافر الى الهند حيث درس العلوم الرياضية وعاد بعدها الى وطنه ثم رحل الى الحجاز لأداء فريضة الحج. وبعد ذلك رحل الى معظم بلدان الشرق الأوسط واطلع على أحوال المسلمين آنذاك، ودافع عن قضاياهم ورد أسباب ضعفهم الى عدم تمسكهم بأصول الشريعة الاسلامية السمحة.

وقد تميزت اخلاقيات جمال الدين الافغاني بالشجاعة والجرأة في الحق. فمما يذكر أن أحد رجال حاشية السلطان عبدالحميد أخذ عليه أنه كان يخاطب السلطان بينما كان يلعب بحبات سبحته وهذا أمر لا يتفق مع ما ينبغي أن يكون عليه جليس السلاطين، فأجابه الافغاني بقوله: سبحان الله، ان السلطان يلعب بمقدرات الملايين من الأمة الاسلامية على هواه، أفلا يكون لجمال الدين الحق في أن يلعب في سبحته كيف يشاء؟ [١].

كما تميز الأفغاني بذكاء نادر وقريحة نافذة وقدرة فائقة على تحليل المعاني والتعمق فيها واستقصاء دقائقها وعرضها بعد ذلك عرضا يسيرا ينفذ الى العقول. وقد عبر عن ذلك تلميذه الشيخ محمد عبده بقوله: [٢] «كان له سلطة على دقائق الأمور وتجديدها وابرازها في صورها اللائقة بها، كأن كل معنى قد خلق له، وله قوة في حل ما يعضل منها كأنه سلطان شديد البطش، فنظرة منه تفكك عقدها، كل موضوع يلقى اليه يدخل للبحث فيه كأنه صنع يديه، فيأتي على أطرافه ويحيط بجميع اكنافه ويكشف ستر الغموض عنه ليظهر المستور منه، واذا تكلم في الفنون حكم فيها حكم الواضعين لها، ثم له في باب الشعريات قدرة على الاختراع كأنه ذهن عالم الصنع والابداع وله لسن في الجدل وحذق في صناعته لا يلحقه فيها أحد الا أن يكون في الناس من لا تعرفه».

أما عن اصول الحضارة الاسلامية في فكر الافغاني، فانه يشبه الحضارة الاسلامية بقلعة لها ستة أركان، يطلق عليها قلعة السعادة الانسانية التي تحاول اعاصير الدهريين أن تدكها لتهبط بالانسان من المدنية الاسلامية الى الوحشية الحيوانية، وهذه الأركان الستة هي:

### أولاً: تقدير انسانية الانسان:

فالاسلام كرم الانسان في كل صوره الصاعدة والهابطة، السوية والشاذة، فأحسن خلقه ورفعه عن مستوى البهيمية، ومن الواضح أن هذا الركن قد سما بالانسان عن الانغماس في الشهوات الحسية والاستغراق في الحاجات البيولوجية، وبهذا السمو وحده، مكنه من الصعود في مدارج الكمال لتنمو وتزدهر حضارته وتحقق له الأمن والأمان والطمأنينة والرخاء، تلك التي زعم الدهريون ودعاتهم أنها تتحقق عن طريق اشباع اللذات الحسية والتدني لمستوى البهيمية وفي ذلك يقول الافغاني: [٣] «هل في حياة الأسود الكاسرة والوحوش الضارية والكلاب العاقرة ما يغري المرء بالتفكير في الهبوط الى مرتبتها ومحاكاتها في طباعها؟ إن ايمان المرء انه اسمى مرتبة من الحيوان وأرجح منه عقلا هو الذي يوجهه في أفعاله ويدعوه الى الرغبة في حياة طيبة عمادها تهذيب النفس والتطهر من دنس الرذائل».

### ثانيا: العقيدة الاسلامية أشرف العقائد:

يبرز الافغاني في كل مؤلفاته وبحوثه أن العقيدة الاسلامية هي أشرف العقائد وان الارتكاز على اصولها ومبادئها وصيغها ومحدداتها وأساليبها وأهدافها هو السبيل الوحيد في ازدهار الحضارة الاسلامية والنهوض بأحوال المسلمين بالعمل الهادف المنتج النافع اجتماعيا والتخلي عن نقائص السلبية واللامبالاة والتباكي على الماضي دون ترقية الواقع والتطلع الى مستقبل أفضل

وقد عبر عن ذلك بقوله: [٤] «ان البكاء لا يحيي الميت، والأسف لا يرد الفائت؛ والحزن لا يدفع المصيبة». فقد تخلى الاغريق، مثلا، عن عقيدتهم في القرن الثالث قبل الميلاد؛ فحل بهم الوهن والضعف والذل والهوان».

### ثالثا: الايمان بالبعث:

فايمان الانسان بالبعث واليوم الآخر والحساب والثواب والعقاب ويقينه بأنه ورد في هذه الحياة الدنيا لاستحصال كمال يهيئه للعروج الى عالم أرفع وأوسع في هذا العالم الدنيوي، هذا اليقين، يدفع الانسان الى النظر الى الحياة الدنيوية كما لو كانت مرحلة اعداد واستعداد، وتحصيلا لحياة خالية من المؤلمات لا تنقص سعادتها ولا تنتهي مدتها وعندئذ لا تهفو نفسه الى الاستجابة الكلية لنداء الطبيعة، وانما تضيء الحكمة عقله، فيسعى الى التزود بالمعرفة النافعة اجتماعيا حتى يحقق الخير لمن حوله وما حوله.

وقد عبر الافغاني عن ذلك بقوله: [٥] «فان هذا الاعتقاد نفحة من روح الرحمة الازلية تهب على القلوب ببرد الهدوء والمسالمة، فان المسالمة ثمرة العدل، والمحبة زهرة الاخلاق، والسجايا هي غراس تلك العقيدة التي تحيد بصاحبها عن مضارب الشرور والآثام».

### رابعا: التمسك بفضيلة الحياء:

وهذه الفضيلة هي أعمق الفوارق بين الانسان والحيوان وهي تجنبه الاتيان بما يؤدي الى اللوم والاستهجان من الآخرين وهي التي تبعده عما تراه العقيدة الاسلامية نقصا وتؤصل فيه أن الحياء هو انبعاث داخلي في النفس وهو أقوى أثرا من أي قهر يوجبه القانون الوضعي، وهذه الفضيلة من أمهات الفضائل في الشريعة الاسلامية لأن من لا يخجل من نفسه قل أن يخجل من غيره ولا يحترم قانونا الا عن سبيل القهر والرهبة، كما انها توجب على الانسان احترام عقله والالتزام باحكامه والوفاء بوعوده وعهوده، وهي شيمة الإباء والعزة وهي مبعث حراك الأمة الاسلامية للأخذ بأساليب العلم وتقنياته دون تنكب عن الطريق السوي.

وفي ذلك يقول الافغاني: [٦] «وفي الحق أن يقال أن تأثير هذه الخلة في حفظ نظام الجمعية البشرية وكف النفوس عن ارتكاب الشنائع، أشد من تأثير مئين من القوانين وآلاف من الشرط والمحتسبين، فان النفوس اذا مزقت حجاب الحياء وسقطت الى حضيض الخسة والدناءة ولم تبال بما يصدر عنها من أعمال فأي عقاب يردعها؟».

ويبرز الافغاني أثر هذه الفضيلة كركن هام من أركان الحضارة الاسلامية في تدعيم الصلات الاجتماعية بين المسلمين وتقويتها وانمائها، فالحياء هو الذي يحفظ الحقوق والواجبات ولولاه لما استطاع المربون أن ينهضوا بالنفوس. «الا ترى المعلم كيف يعظ تلميذه بقوله الا تستح من تقدم قرينك عليك وتخلفك عنه؟ فان لم تكن هذه الخصلة فلا أثر للتوبيخ ولا نفع للتقريع».

### خامسا: التمسك بفضيلة الأمانة:

وهذه الفضيلة هي من مقومات الحضارة الاسلامية التي غرستها الشريعة الاسلامية في النفوس لأنها اساس المعاملات والمبادلات، ولو اعتقد المرء انه في حل من الا يفي بعهوده لفسدت جميع الروابط بين الأفراد ولإنمحت الثقة بينهم ولاصبح الغدر قانونا، وفي ذلك يقول الافغاني: [٧] «وربما لا ينكر الآن أن كثيرا من عامة المسلمين وان صحت عقائدهم من حيث ما تعلق به الاعتقاد، الا انهم لا ينهجون في بعض أعمالهم منهاج الشريعة الغراء، وهذا ما يحدث ضعفا في قوة الأمة».

### سادسا: تحقيق التوافق بين مطالب الفرد ومطالب الجماعة:

وقد أبرز الافغاني فعالية هذا التناغم بين مطالب الفرد ومطالب الجماعة دون أن يكون لأي منهما الغلبة أو السبق على الآخر، فحاجات الفرد ومطالبه لا تنقضي مع قصور جهده وقلة حيلته لو ترك وحده فكأنما يصبح كمن قذف به في عماء لا يدري من أمره شيئا، وكأنما اثار وجوده عوامل الطبيعة كلها عليه، فجعلت له في كل ركن من أركانها عائلة، ولعل هذا هو السبب في حاجته الملحة الى الآخرين حتى يستبدل بضعفه قوة وبخوفه امنا وتلك هي حكمة التناغم بين الفرد والجماعة، تلك التي فطره الله عليها حتى يتخذ من اخوانه ملجأ ومن عونهم وسيلة الى تحصيل قوته والكشف عما خفي من حواسه.

ولعل هذا ما دفع بالافغاني الى مطالبة المربين المسلمين بتأصيل اصول الشريعة الاسلامية في الناشئة لبناء حضارة اسلامية عريقة. وقد حدد الافغاني أساليب التنشئة الاجتماعية للانسان المسلم في الركائز التالية:

- **القدوة الصالحة**
- **الترغيب والترهيب**
- **الموعظة والنصح**
- **الاقناع والاقتناع**
- **المعرفة النظرية**
- **الممارسة العملية**

فلو قدر للانسان أن يولد في بيئة لا تصدقه النصح ولا ترعى الحق في تزويده بكل الوسائل والأساليب التي يكف بها عن نفسه ما ادخرته له عوامل الطبيعة؛ أي لو ترك للطبيعة كما يزعم دعاة الدهريين وأنصارهم، لما استقامت له حياة ولما تحققت له سعادة، ولما تكونت له حضارة □

### المراجع


١ــ شكيب ارسلان «حاضر العالم الاسلامي» ــ المجلد الثاني ــ ص/٢٩٥.
٢ــ «تاريخ محمد عبده» الجزء الأول ــ ص ٨٩ ــ ٩٠.
٣ــ جمال الدين الافغاني ــ «رسالة الرد على الدهريين» ــ ص/٣٥.
٤ــ جمال الدين الافغاني ــ «الوحدة الاسلامية» طبعة دمشق ــ ص/١٦.
٥ــ جمال الدين الافغاني ــ «رسالة الرد على الدهريين» ــ ص/٣٧
٦ــ جمال الدين الافغاني ــ «رسالة الرد على الدهريين» ــ ص/٣٨
٧ــ «العروة الوثقى» ــ طبعة بيروت ــ ١٩٣٣م ــ ص/١٤٣.

على هامش

# المؤتمر الثالث لرجال الأعمال السعوديين

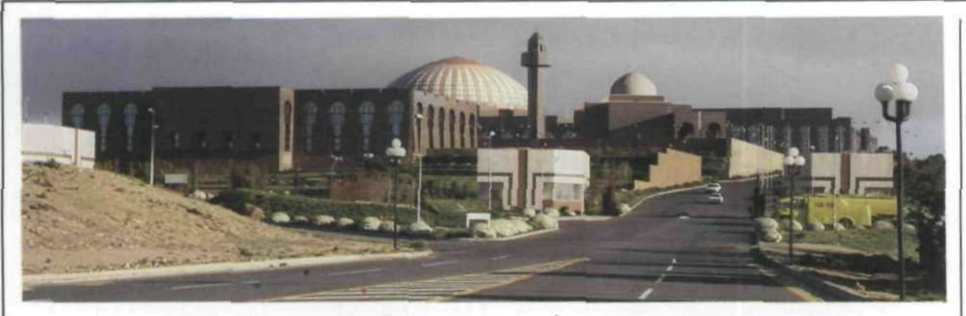



بقلم: علي حسن المرهون / هيئة التحرير

آن الأوان للقطاع الوطني الخاص، أن يلعب دوره المناط به، في ولوج ميادين التنمية الانتاجية، في القطاعات الصناعية والزراعية والخدمات العامة متبنيًا الأساليب الانتاجية والإدارية والتسويقية الحديثة، طويلة الأمد. والتي تؤهله للإسهام، في نشاطات إستثمارية جديدة كالسياحة، والصناعات الغذائية والزراعية، والبتروكيماوية، بعيدًا عن عقلية «الكسب السريع»..ولعل أهم ملامح المرحلة الإقتصادية القادمة هو بروز الرؤية الإستثمارية الإنتاجية، وتنامي دور الشركات الإقتصادية على حساب الجهود الفردية في المؤسسات الصغيرة.

# فهرست المجلد الخامس والثلاثين ١٤٠٧هـ

| الموضوع | الكاتب | العدد | الصفحة |
|---|---|---|---|
| الطبيب ابن الجزار القيرواني (٢) | فاضل السباعي | رمضان | ٢١ |
| غازي القصيبي | د. مصطفى ابراهيم حسين | رمضان | ٣٤ |
| ما هي الرعاية الصحية الأولية | يعقوب سلام | رمضان | ٣٨ |
| حسن عبدالله القرشي شاعر الوجدان | د. مصطفى ابراهيم حسين | شوال | ٢٨ |
| العلاقات بين العرب والصين في القرون الوسطى | د. نقولا زيادة | شوال | ٤٥ |
| حمزة شحاته.. الأديب الفيلسوف | د. مصطفى ابراهيم حسين | ذو القعدة | ٢٠ |
| دور القطاع الخاص في تحريك النشاط الاقتصادي في الدول العربية الخليجية | عبدالله الخالد | ذو القعدة | ٣٤ |
| محمد حسن عواد.. الشاعر الأديب | د. مصطفى ابراهيم حسين | ذو الحجة | ٣٨ |
| على هامش المؤتمر الثالث لرجال الأعمال السعوديين | علي حسن مرهون | ذو الحجة | ٢٤ |
| **استطلاعات عن المملكة:** | | | |
| المدينة الصناعية الثانية بالدمام | سليمان نصرالله | محرم | ١٨ |
| المكتبات العامة في المملكة العربية السعودية | ابراهيم أحمد الشنطي | صفر | ٢٠ |
| الدمام — الخبر — الظهران التوائم الثلاثة (١) | يوسف خالد ابو بشيت | ربيع الثاني | ١٠ |
| الدمام — الخبر — الظهران التوائم الثلاثة (٢) | يوسف خالد ابو بشيت | جمادى الأولى | ١٨ |
| شركة الملاحة العربية المتحدة.. لبنة في صرح التعاون بين دول الخليج العربية | نجيب محمد القضيب | جمادى الآخرة | ٤ |
| القطيف.. مدينة تاريخية عريقة | يوسف خالد ابو بشيت | شعبان | ٦ |
| مراكز التدريب والاعداد المهني في المملكة مصانع للمهارات | عبدالله الخالد | رمضان | ١٢ |
| مصلحة الأرصاد وحماية البيئة بالمنطقة الشرقية | يوسف خالد ابو بشيت | شوال | ١٠ |
| الدفاع المدني في المملكة سلاح لحماية السكان والممتلكات | عبدالله الخالد | ذو الحجة | ١٤ |
| **من حصاد الكتب:** | | | |
| كتب مهداة | | محرم | ٣٨ |
| المدينة في العصر الجاهلي والحياة الأدبية | عبدالسلام هاشم حافظ | صفر | ٤٠ |
| شمعة ظمأى بين الاجترار والابتكار | ابو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري | ربيع الأول | ٣٦ |
| كتب مهداة | | ربيع الأول | ٤١ |
| ديوان ترانيم الليل | عرض: عبدالله احمد الشباط | جمادى الأولى | ٤٣ |
| الخطيئة والتكفير | عرض: عبدالله احمد الشباط | جمادى الآخرة | ١٢ |
| كتب مهداة | | جمادى الآخرة | ٤٢ |
| البدو والثروة والتغيير.. دراسة في التنمية الريفية في الامارات العربية المتحدة وسلطنة عمان | عرض: عبدالله احمد الشباط | رجب | ٢٠ |
| كتب مهداة | | شعبان | ٤٤ |
| ما يعد به الاسلام | مراجعة: بهاء الدين الزهوري | رمضان | ٤٤ |
| كتب مهداة | | رمضان | ٤٧ |
| ديوان في زورقي | | شوال | ٢٠ |
| **بحوث تتعلق بصناعة الزيت:** | | | |
| أخبار الزيت المصورة | | محرم | ٤٠ |
| ارامكو ١٩٨٥م | | ربيع الأول | ١٨ |
| أخبار الزيت المصورة | | رجب | ٤٠ |
| أخبار الزيت المصورة | | ذو الحجة | ٤٢ |



فندق انتركونتيننتال، بمصيف السودة، بأبها، حيث عقد المؤتمر الثالث لرجال الأعمال السعوديين.

## مقدمة

لقد لعب القطاع الخاص، بصورة عامة دورا أساسيا في تطوير الدول الغربية والانتقال بها الى عصر التصنيع، وكان بمثابة ورشة العمل الوطنية الكبرى التي صهرت كل عوامل الانتاج المادية والبشرية مفجرة طاقات انمائية شاملة في شتى الأنشطة الاقتصادية، وذلك في ظل ظروف تاريخية واقتصادية وسياسية مؤاتية.

أما دور هذا القطاع في العالم الثالث، فقد اختلف من مرحلة الى أخرى، حيث عجز لأسباب تاريخية واجتماعية محلية وخارجية، عن أخذ زمام المبادرة على الصعيد الاقتصادي، وظل دوره محصورا في تجارة الاستيراد والتصدير التقليدية، مع محاولات محدودة لاقامة صناعات وطنية ناشئة لم يكتب النجاح الا لبعضها. وفي ظل ازدهار الصناعة النفطية التي شهدتها منطقة الخليج، انصرف نشاط القطاع الخاص في معظمه في هذه المنطقة الى النشاطات التجارية والعقارية ذات المردود السريع والمأمون، فأحجم عن اقتحام ميادين التنمية الانتاجية، وذلك نتيجة لضعف هياكل القطاع الخاص المحلي الذي تعوزه المهارة العملية والعلمية والقدرة على المخاطرة، ومن ثم على اتخاذ القرارات الراشدة.

غير أن هذا الاحجام لم يلبث أن تضاءل وخاصة منذ منتصف السبعينات، حيث أخذ رجال الأعمال يوجّهون استثماراتهم نحو المشاريع الاقتصادية المتنوعة، كالصناعة والزراعة، والمؤسسات المصرفية، والنقل، والسياحة والفندقة وغيرها. ولم يعد الاستيراد للاستهلاك أو التبادل التجاري هو النشاط الوحيد الذي يجذب رجال الاستثمارات في هذا القطاع، وهذا بالطبع يمثل نقلة نوعية في مجال تفكير المستثمرين الذين بدأوا يدركون أهمية الاستثمار في المشاريع الانمائية والانتاجية، لأن مردودها المالي سيكون مضمونا وأكثر استقرارا، ولأنهم يدركون أهمية تنويع مصادر الدخل الوطني، الذي سينعكس بصورة ايجابية على الاداء الكلي للاقتصاد الوطني.

## نمو القطاع الخاص السعودي

نظرا لارتفاع عائدات النفط في السبعينات، وتزايد معدلات الانفاق الحكومي، في سبيل انشاء «البِنَى التحتية» للاقتصاد الوطني، فقد تولد مناخ استثماري مؤات، كانت نتيجته تأسيس العديد من المؤسسات الاقتصادية الصغيرة والمتوسطة والكبيرة. وارتفعت نسبة استثمارات القطاع الخاص بالنسبة الى مجموع الاستثمارات من ٢٧,١ في المائة الى ٣١,٨ في المائة خلال خطة التنمية الثالثة. وارتفع عدد المؤسسات الخاصة من ٧٨٠٠٠ الى ١٩٤٠٠٠ مؤسسة في الفترة ما بين ١٩٧٩ ــ ١٩٨٣، كما ارتفع اجمالي رأس المال المستثمر من قبل القطاع الخاص من ٢,٢ بليون ريال في سنة ١٩٧٠م الى ٥٨,٣ بليون ريال في سنة ١٩٨٣م، مشكلا ما نسبته ٣٥ في المائة من اجمالي الناتج المحلي. وقد كان الحافز الاساسي لهذا النمو السريع هو الانفاق الحكومي الضخم، الذي أدى بشكل مباشر وغير مباشر الى توليد الطلب على سلع وخدمات القطاع الخاص، كما أدت سهولة الحصول على رأس المال النقدي من مؤسسات الاقراض العامة الى تمويل الاستثمار اللازم لمواجهة متطلبات السوق. غير أن التغيرات الاقتصادية التي شهدتها المملكة في السنوات الأخيرة وما صاحبها من انخفاض في معدلات الانفاق الحكومي، وكذلك التطورات التي شهدتها سوق النفط العالمية قد أدت الى تدني الطلب على سلع القطاع الخاص وخدماته، وانكماش السيولة النقدية، وزعزعة الثقة الائتمانية داخل الاسواق، مما تسبب في التردد أو الاحجام عن المشاريع الاستثمارية، الأمر الذي استوجب وقفة دراسية وتأملية لالتقاط الانفاس ولدراسة ما ينبغي على هذا القطاع عمله في هذه المرحلة الاقتصادية الجديدة، ولتحديد دوره الاستثماري ضمن مراحل تطور الاقتصاد الوطني، الذي تخطى مرحلة «الطفرة» أو الكسب السريع الذي رافق مرحلة انشاء «البنى التحتية» للاقتصاد الوطني، مع ما يتطلبه ذلك من اعادة التكيف الاقتصادي مع مرحلة التنمية الجديدة التي من أبرز سماتها التركيز على القطاعات الانتاجية في الزراعة والصناعة والخدمات وازدهار أعمال الصيانة والتشغيل، وبروز الكيانات الاقتصادية الكبيرة.

## المؤتمر الثالث لرجال الاعمال السعوديين

ادراكا من مجلس الغرف التجارية السعودية، لأهمية دور القطاع الخاص، في تنمية الاقتصاد الوطني، ووفقا للدور الذي حددته خطة التنمية الرابعة، فقد عقد المؤتمر الثالث لرجال الأعمال السعوديين بفندق «انتركوننتال ــ أبها» بمنطقة عسير، حيث الضباب يعانق غابات أشجار العرعر في مدرجات خضر، تكتنفها وديان سحيقة، وجبال شاهقة، وذلك في الفترة من ١٥ الى ١٨ رجب ١٤٠٧هـ، تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير نيابة عن خادم الحرمين الشريفين، تحت شعار «نحو تنشيط فاعليات القطاع الخاص لمساهمة أفضل في الاقتصاد الوطني». وقد شارك في المؤتمر حوالي ٥٠٠ شخصية من رجال الأعمال بالمملكة، بالاضافة الى عدد من أصحاب السمو الملكي الأمراء والمعالي الوزراء وكبار المسؤولين من وزارات التجارة والصناعة والمالية والداخلية، والمؤسسات العامة من بينها «سابك» و«بترومين» والهيئة الملكية للجبيل وينبع وغيرها. وقد بحث المؤتمر تحديد الوسائل والسياسات المؤدية لانطلاق القطاع الخاص لتأدية الدور المنوط به في خطة التنمية الرابعة، والتعرف الى أنسب السياسات والأدوات التي يتوجب استخدامها لضمان حشد موارد هذا القطاع وامكاناته لتكوين قاعدة انتاجية ثابتة ومتنوعة، كبداية لتخفيف الاعتماد على النفط كمصدر وحيد للناتج المحلي، وصولا لتنويع مصادر الدخل الوطني. كما ناقش المؤتمر مجموعة من اوراق العمل تتصل بأساليب تحريك النشاط الاقتصادي، والسياسات المؤدية الى استغلال طاقات الانتاج في قطاعات الصناعة والزراعة والخدمات، وكذلك سياسات تنمية وتشجيع الصادرات، وفرص الاستثمار المتاحة، وأهم المجالات المرغوبة.

وقد كان أول المتحدثين في حفل الافتتاح الأستاذ، سليمان الصالح العليان، رئيس الغرف التجارية الصناعية السعودية، الذي ألقى كلمة نوّه فيها بأهمية المؤتمر، في هذه المرحلة الاقتصادية الجديدة التي يشهدها الاقتصاد الوطني، ثم القى الاستاذ عبدالله سعيد أبو ملحة، رئيس الغرفة التجارية الصناعية بأبها كلمة، أعقبها معالي وزير التجارة، الدكتور سليمان السليم، بكلمة ضافية جاء فيها: «لقد كانت السنوات الأربع الماضية بالنسبة لرجل الأعمال، سنوات تأقلم ومراجعة حسابات، أفرزت اليوم قطاع أعمال أكثر كفاءة وحذرا، وتخصصا، وأقل اندفاعا ومغامرة».. واستطرد قائلا: «ومن مؤشرات النشاط الاقتصادي، استمرار الاتجاه نحو الكيانات الاقتصادية الكبيرة، بدلا من بعثرة الجهود الفردية، وقد رأينا ذلك في مجالات النقل المبرد، وبرنامج التوازن الاقتصادي الذي تستثمر الشركات الاجنبية المتعاقدة مع الدولة بموجبه ٣٥ في المائة من قيمة عقودها في المملكة، ومجال العناية الطبية والبتروكيميائيات والتسويق الزراعي والخدمات

الصناعية». واختتم معاليه كلمته قائلا: «ان كل هذه أمور تبشر بالحيوية في اقتصادنا الوطني، الا أنها لا تعفي رجل الأعمال لدينا من الدراسة والمراجعة قبل اتخاذ القرار، ولا تعفيه من أن يتذكر دائما أن سلامة وضعه المالي، تتأثر بصورة مباشرة أو غير مباشرة بسلامة اقتصادنا الوطني». ثم تحدث صاحب السمو الملكي الأمير، خالد الفيصل، أمير منطقة عسير، بهذه المناسبة قائلا: «ان اقتصادكم حر، وان رجل الأعمال السعودي موضع ثقة حكومته ومحل احترام بلاده، ومن هنا كان الاستثمار الداخلي من انجح الوسائل الاقتصادية، لا سيما وان بلادنا تستظل بمظلة الأمن المنقطع النظير، وينعم مواطنوها بحفظ الحقوق، ولهذا الوطن المعطاء دين في اعناقنا جميعا، وان استثمار بعض رجاله لرؤوس اموالهم خارجه يعد عقوقا لحق الوطن العزيز». وقد أوضح سموه تعدد مجالات الاستثمار في المملكة، مؤكدا جدوى الاستثمار في القطاع السياحي بالمملكة عموما ومنطقة عسير خصوصا. وان الدراسات الاحصائية تشير الى أن السياحة في مرابع عسير باتت حقيقة واقعة، تعطي القناعة بجدوى الاستثمار فيها.

وقد حضر المؤتمر وشارك في جلساته التسع، التي اتسمت بالصراحة والموضوعية أصحاب المعالي، الاستاذ محمد أبا الخيل، وزير المالية والاقتصاد الوطني، والدكتور سليمان السليم، وزير التجارة، والمهندس عبدالعزيز الزامل، وزير الصناعة والكهرباء والدكتور ابراهيم العواجي وكيل وزارة الداخلية بالاضافة الى عدد كبير من وكلاء الوزارات المعنية ومديري الادارات العامين، وكبار المسؤولين ومديري المؤسسات العامة.

وقد تبنى المؤتمر اسلوبا للحوار يجمع بين فرق العمل المتخصصة لاجراء الحوار التمهيدي مع المسؤولين قبل المؤتمر وبعده، بالاضافة الى لجان حوار المنصة أثناء المؤتمر، ومشاركة رجال الأعمال مباشرة في النقاش وطرح الاسئلة، مما أعطى المؤتمر فاعلية خاصة، أثمرت عن خروجه بتوصيات عديدة وشاملة تنصب كلها في خدمة وتعزيز دور القطاعات الانتاجية والخدمات التي يؤديها القطاع الخاص، وتذليل العقبات، مما يساعده على التكيف مع الأوضاع الاقتصادية الجديدة التي تقتضيها ظروف مرحلة التنمية الحالية.

وقد أنهى المؤتمر أعماله يوم ١٨ رجب، بعد قراءة البيان الختامي والتوصيات للمؤتمر.

ومن أهم الموضوعات التي نالت البحث والدراسة والنقاش، في المؤتمر الثالث لرجال الأعمال السعوديين، الموضوعات التالية:

**أولا: الفرص الاستثمارية المتاحة للقطاع الخاص في اطار خطة التنمية الرابعة:**

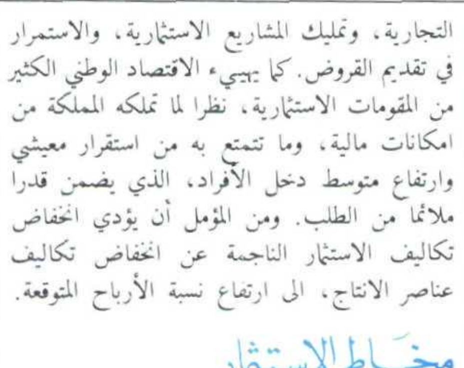
ان الاستثمار هو القرار الذي تتخذه وحدة اقتصادية ما، بهدف التطوير أو الابقاء على وحدة



ترأس صاحب السمو الملكي الامير خالد الفيصل، أمير منطقة عسير، الجلسة المخصصة لمناقشة فرص الاستثمار السياحي بالمملكة.

انتاجية من خلال ايجاد مجموعة من عناصر الانتاج، كفيلة بتوفير مجموعة من السلع أو الخدمات تحقيقا للربح، في ظل حدود البيئة الاستثمارية المتاحة.

وقد شملت خطط التنمية، العديد من السياسات والبرامج المشجعة للاستثمار الخاص، بجميع اشكاله انطلاقا من أهدافها نحو تنويع مصادر الدخل واستغلال الموارد الاقتصادية، وشملت جوانب متعددة أهمها: التمويل الرأسمالي للمشروعات، والتدريب والعمالة، واقامة البنية الاساسية، وحماية وتشجيع الصناعة الوطنية. وقد وضعت خطة التنمية الرابعة مجموعة من السياسات التي من شأنها تعميق فكرة الاستثمار ومواجهة مخاطره، تمثلت في دراسة أساليب تعبئة رؤوس الأموال للاستثمار في المشاريع الانتاجية، ومنها بحث انشاء شركات توظيف رؤوس الأموال، ومؤسسات الوساطة المالية، ودور المصارف



التجارية، وتمليك المشاريع الاستثمارية، والاستمرار في تقديم القروض. كما يهيىء الاقتصاد الوطني الكثير من المقومات الاستثمارية، نظرا لما تملكه المملكة من امكانات مالية، وما تتمتع به من استقرار معيشي وارتفاع متوسط دخل الأفراد، الذي يضمن قدرا ملائما من الطلب. ومن المؤمل أن يؤدي انخفاض تكاليف الاستثمار الناجمة عن انخفاض تكاليف عناصر الانتاج، الى ارتفاع نسبة الأرباح المتوقعة.

## مخاطر الاستثمار

على الرغم من توفر معظم مقومات الاستثمار بالمملكة، فان فاعلية تنفيذ بعض عناصر السياسة الاستثمارية ما زال قاصرا، مما يؤدي الى احجام نسبي لرؤوس الأموال الوطنية عن الاستثمارات الانتاجية، وتفضيل الصور الأخرى للاستثمار كالودائع المصرفية أو المضاربات العقارية، ومضاربات الذهب مما يعيق حركة التنمية ويحد من توسع القاعدة الانتاجية. وفيما



صاحب السمو الملكي الأمير، فيصل بن بندر بن عبدالعزيز، نائب أمير منطقة عسير.



حظيت ورقة الاستثمار السياحي في عسير بأهمية خاصة لدى المؤتمر.




حضر المؤتمر الثالث لرجال الاعمال السعوديين، ما يربو على ٥٠٠ شخصية من رجال الأعمال من مختلف مناطق المملكة.



مثّل ارامكو في المؤتمر كل من الاستاذ عبدالعزيز الفالح، نائب الرئيس للتموين، والاستاذ صالح الرديني، مدير ادارة التنمية العمرانية وتملك البيوت، والاستاذ صالح الدوسري، منسق قسم المساعدة الفنية.

يلي أهم المعوقات السلبية للمناخ الاستثماري بالمملكة:

- تراجع الطلب المحلي بسبب انخفاض الانفاق الحكومي، مما أعاق تصريف منتجات بعض الصناعات الوطنية والأنشطة التي نشأت في الظروف الماضية، مما أدى الى خروجها من السوق بشكل مفاجىء، ومن ثم الى شيوع حالة من القلق والتوتر في محيط الأعمال.
- عدم التطبيق الفعال لأنظمة منح المنتجات الوطنية الافضلية في المشتريات الحكومية، مع ما يمثله ذلك من أهمية.
- عدم تطوير السوق المالية، وتقييد عملية البيع بالأجل وفق نظام تداول الأسهم وعدم كتابة البيانات المالية عن الأنشطة، والمركز المالي للشركات المساهمة.
- إحجام المصارف التجارية عن منح قروض متوسطة وطويلة الأجل لتمويل الأنشطة الاستثمارية.
- عدم توفر البيانات والمعلومات الاقتصادية العامة والتفصيلية، مما يعيق استكمال دراسات الجدوى الاقتصادية اللازمة للمشاريع.

## فرص الاستثمار المتاحة

تؤكد المؤشرات على توفر العديد من الفرص الاستثمارية في مجالات الزراعة والصناعة والصيانة والخدمات التسويقية، ومن أهم مجالات الاستثمار في الصناعة:

- مجال انتاج وتصنيع السلع الغذائية ومنها الخضراوات المحفوظة والمعلبة والأسماك وأغذية الأطفال وأنواع عصير الفاكهة والاعلاف.
- مجال صناعة المنتجات البتروكيميائية، ويتميز هذا المجال بتوفر المنتجات الوسيطة لها من منتجات شركة «سابك» للصناعات الاساسية، والتي من أهمها اطارات السيارات، والنسيج المحاك من ألياف اصطناعية، والمطهرات والمبيدات الحشرية، وصناعة الادوية، وغيرها من الصناعات العديدة المتنوعة.
- توفر فرص استثمارية في صناعة التعدين والمعدات الهندسية.
- يتيح برنامج التوازن الاقتصادي للمستثمرين فرصة المساهمة في ١٢ مشروعا، يتوقع أن يصل اجمالي استثماراتها الى ٤,٧٦ بلايين ريال.
- مجالات الصيانة والتشغيل تتيح للمشاريع الحكومية ومشاريع القطاع الخاص الكثير من الفرص الاستثمارية، كما أن مجال الخدمات التسويقية بحاجة للكثير من الاستثمارات في أنشطة الدعاية والاعلان والنقل والبيع بالجملة.

## تطوير القطاع الخاص

ان استحداث التنويع في البنيان الانتاجي السعودي وتوسعة آفاقه الانتاجية في المستقبل هو هدف التنمية في الخطة الخمسية. ويعد هذا القطاع القاعدة الطبيعية لاستحداث بنيان انتاجي متنوع ومتين، خاصة بعد أن أعلنت الدولة في استراتيجيتها الانمائية تولي القطاع الخاص ملكية وادارة وتشغيل المشروعات الانتاجية والخدمية العامة، حيث ستواصل الحكومة خلال خطة التنمية الرابعة تنفيذ برنامج نقل ملكية الشركات الحكومية الى القطاع الخاص، وبدأته ببيع جانب من أسهم الشركة السعودية للصناعات الاساسية (سابك) الى القطاع الخاص. ومن المنتظر أن تنمو استثمارات القطاع الخاص بمعدل سنوي قدره ١٠ في المائة خلال خطة التنمية الرابعة حتى تصل حصته في اجمالي رأس المال الثابت الى ٤٨ في المائة في نهاية السنة المالية ١٤٠٩/١٤١٠هـ.

### ثانيا: تشجيع الصادرات الوطنية للقطاع الخاص:

تشير الاحصاءات الى أن صادرات القطاع الخاص قد بلغت ما قيمته ٥٩٠ مليون ريال عام ١٩٨٤م، وتضاعفت عام ١٩٨٥م لتصل الى ١٢٨٥ مليون ريال، وكانت تمثل نسبة قدرها ٠,٥ في المائة من اجمالي صادرات المملكة في سنة ١٩٨٤م، ونحو ٣٠,٤ في المائة من اجمالي الصادرات الوطنية غير النفطية. وتشمل هذه الصادرات المنتجات الزراعية والصناعية التي يتجه أكثر من نصفها الى دول مجلس التعاون الخليجي والدول العربية. وتستحوذ الصادرات البتروكيميائية التي تنتجها «سابك» على النسبة الكبرى من الصادرات غير النفطية.

## القطاعات ذات الامكانات التصديرية

تتنوع قطاعات الانتاج والخدمات ذات الامكانات التصديرية في الاقتصاد الوطني السعودي، ولعل من أبرز هذه القطاعات:

- **الصناعة**: يوجد بالمملكة أكثر من الفي مصنع، استثمر فيها ما يقرب من ٦١ بليون ريال، وتصل قيمة مبيعاتها السنوية الى نحو ٢٥ بليون ريال. على الرغم من أن نصف طاقتها الانتاجية هو المستغل فقط.
- **الزراعة**: حقق هذا القطاع نموا مطرداً وفائضا في السنوات الماضية، كما أن مصائد الأسماك يمكن ان تنتج عشرة أضعاف انتاجها الحالي، ويحتل التسويق الزراعي في المرحلة الحالية والمستقبلية أهمية خاصة مما يستدعي انشاء شركات للاستثمار في مجالات التصنيع والتسويق الزراعي.
- **الخدمات المالية والمصرفية**: تتميز السوق السعودية بالموقع الجغرافي وشبكة الاتصالات الحديثة، فضلا عن الثقة والاستقرار الذي يتمتع به الاقتصاد الوطني. ومن خلال التسهيلات التي تقدمها مؤسسة النقد العربي السعودي يمكن تحقيق التوسع والاستثمار في مجالات التمويل الدولي والخدمات المصرفية.
- **خدمات الشحن والموانىء**: هناك فرص تصدير متاحة في مجال تجارة الشحن واعادة التصدير و«الترانزيت» يوفرها اسطول النقل البحري السعودي.

وتنبع أهمية التصدير من اعتبارات هامة، منها أنه الامتداد الطبيعي للتوسع المنشود في مشروعات الانتاج وهو السبيل الوحيد للخروج مما تعاني منه كثير من المنشآت من فائض انتاجها، اضافة الى كونه

مؤشرا جيدا لتنويع مصادر الاقتصاد الوطني ودعم الميزان التجاري.

### ثالثا: الامكانات المتاحة لتطوير الاستثمار الزراعي:

لقد حقق القطاع الزراعي في المملكة أعلى معدلات النمو والتوسع في المنتجات الزراعية، وقد سار هذا القطاع بخطى سريعة الى الأمام، تحول على أثره من مجرد عبء على التنمية الى محرك فاعل من المحركات الرئيسية لها، انعكست آثارها المباشرة وغير المباشرة على اداء الاقتصاد الوطني ككل. ولقد استجاب القطاع الخاص لحوافز الحكومة التشجيعية ففاقت استثماراته توقعات الخطة وتم توجيه أموال القطاع الخاص الى مجالات الزراعة. وقد حقق هذا القطاع نموا سريعا خلال خطة التنمية الثالثة حيث وصل معدله الى أكثر من ٨.٧ في المائة وتحقق تبعا لذلك فائضا في انتاج القمح والدواجن والألبان وقد حددت خطة التنمية الرابعة، ضمن أهداف السياسة الزراعية ما يلي:

- تحقيق معدل واقعي في زيادة الانتاج الزراعي بأقل التكاليف الممكنة.
- تحقيق تحسن في رفاهية سكان المناطق الريفية.
- رفع الكفاية التسويقية للمنتجين الزراعيين.
- جذب رؤوس الأموال الخاصة للاستثمار في الزراعة.

غير أن تطوير فرص الاستثمار المتاحة في القطاع الزراعي يتركز عموما في المحاور الرئيسية التالية:

- السلع التي تحتل حيزا كبيرا في السوق مثل الخضراوات والفاكهة، ومجموعة الحبوب ومشتقاتها ومجموعة المنتجات الحيوانية، ومجموعة صناعات الأغذية.
- توفر عناصر الانتاج المرتبطة بالقطاع الزراعي حيث يمكن اقامة بعض الصناعات الزراعية على المنتجات الفائضة كالقمح، والتمور، والأسمدة الحيوانية، وصناعات الزيوت النباتية. كما يمكن اقامة صناعات زراعية مساندة كالتجهيزات الآلية الزراعية، والمخصبات والمبيدات، والأعلاف والمركّبات العلاجية للانتاج الحيواني ومواد حفظ المنتجات الزراعية. ومجمل القول أن الفرص الاستثمارية في هذا القطاع تتركز أساسا على تنويع التركيب المحصولي للمنتجات الزراعية.

### رابعا: فرص القطاع الخاص بالجبيل وينبع:

هنالك فرص متوفرة امام القطاع الخاص تتيح له الدخول في مجال الصناعات التحويلية، التي تعد من أهم روافد قطاع الانتاج، حيث قامت الدولة ممثلة بالهيئة الملكية للجبيل وينبع ببناء مدينتين صناعيتين متكاملتين في الجبيل وينبع، موفرة بذلك التجهيزات الاساسية، والمرافق اللازمة للصناعة وغيرها كتوفير المواد الخام الأولية الناتجة عن أهم ثروة طبيعية في المملكة وهي البترول والغاز. وتمتاز هاتان المدينتان الصناعيتان، اللتان أصبحتا نموذجا لتجربة تنموية صناعية رائدة، بمزايا عديدة أهمها:


الأستاذ سليمان الصالح العليان، رئيس مجلس الغرف التجارية الصناعية السعودية.


الدكتور أحمد محمد علي، رئيس البنك الاسلامي للتنمية.



لعبت الغرف التجارية والصناعية من مختلف مناطق المملكة، دورا بارزا في هذا المؤتمر.


القطاع الخاص يتطلع الى الاسهام في الاستثمار في صناعة السياحة الداخلية.



على هامش المؤتمر افتتح صاحب السمو الملكي الأمير، خالد الفيصل، معرض الفنانة صفية بن زقر.



الطرق والكهرباء والماء، من الخدمات الاساسية المتوفرة لاماكن الاصطياف الرئيسية في منطقة أبها.





مجموعة من اللوحات الفنية التي اشتمل عليها المعرض وهي مستوحاة من الحياة الاجتماعية المحلية.



الدكتور عبدالرحمن الزامل، وكيل وزارة التجارة، كان من بين كبار المسؤولين في الدولة، الذين شاركوا في المؤتمر.

- انهما تشكلان منفذين بحريين ملائمين بالنسبة للأسواق العالمية، حيث انشئت موانىء صناعية وتجارية ذات امكانات عالية للشحن والتصدير.
- انهما تحتضنان مناطق الصناعات الاساسية والثانوية والخفيفة المساندة مزودة بجميع الخدمات التشغيلية للمصانع.
- انهما تشملان مناطق سكنية ذات تخطيط حضاري ملائم، يوفر الخدمات الاجتماعية والعمرانية وغيرها.

## الفرص الصناعية

توفر المواد الخام التي تنتجها الشركة السعودية للصناعات الاساسية «سابك»، والتي تصل الى ٢٠ صناعة اساسية تنتج ٤٨ مادة مختلفة من المواد البترولية المكررة والمواد البتروكيميائية والحديد والصلب، الفرصة للاستثمار في آلاف الصناعات التحويلية والنهائية التي يتم تصنيعها حاليا خارج المملكة، وتعود الينا بأسعار أعلى بكثير من قيمة المواد الأولية، وعلى سبيل المثال لا الحصر تتوفر فرص استثمار في (الميثانول، والأمونيا، واليوريا) لانتاج نترات الامونيوم، حامض الخليك، الاسمدة، النسيج، المواد العازلة وغيرها. كما تقدم الحوافز التشجيعية للقطاع الخاص والمتمثلة في توفير الأراضي المجهزة بالخدمات بأسعار رمزية. وتوفير المواد الخام للصناعات التحويلية، وتقديم القروض، وفترة اعفاء ضريبية لمدة عشر سنوات للشريك الأجنبي، واعفاء المواد الخام والآلات وقطع الغيار من الرسوم الجمركية، وتقديم المنح التدريبية وفرص حماية المنتجات الوطنية.

وأهم ما يوصى به المستثمرون، هو التركيز على دراسة ما قبل الجدوى الاقتصادية، والتسويقية على وجه الخصوص، مع أخذ موضوع التصدير بعين الاعتبار، لأن الطاقة الانتاجية لمعظم الصناعات الثانوية تفوق حجم السوق المحلية.

## الفرص التجارية

يتطلب نمو أية مدينة عصرية، كما هي الحال في الجبيل وينبع، نموا في القطاع التجاري الذي يشكل جزءا رئيسيا في قائمة الخدمات وتوفير الاحتياجات العامة للسكان. وهذا مما اتاح للقطاع التجاري ان يزدهر. وقد خصصت الهيئة الملكية، الأراضي والمواقع الضرورية للاستثمار التجاري. ونظرا لأن المدينتين في طور النمو فان الفرص لا تزال متاحة أمام الاستثمار التجاري، لانشاء المرافق والخدمات التجارية.

**خامسا: الاستثمار السياحي:**

ان القطاع السياحي اصبح ينظر اليه، كصناعة منتجة، مثلها مثل سائر أنشطة التوزيع والنقل والتجارة، وتتميز السياحة بأنها مصدر من مصادر الدخل الوطني. ولقد أدى ارتفاع الدخول بالمملكة، الى توفير فرص واسعة للسياحة الخارجية من المملكة الى بلدان العالم كافة بقصد السياحة الترفيهية أو العلاجية، وبلغت أكبر نسبة في الزيادة السنوية لتحويلات المواطنين السعوديين لهذا الغرض في السنوات ١٩٧٦، ١٩٧٧م، ١٩٧٨م بواقع ٨٧.٧٪، ٥٢٪، ٨٢.١٪ على التوالي، ومن هنا فان السياحة خارج المملكة تعتبر في الوقت الحاضر مصدرا من مصادر تسرب الدخل الوطني الى الخارج.



يحتل الفلوكلور الشعبي المميز مكانة خاصة في تراث منطقة عسير الثقافي.

ومن المعلوم أن المقومات السياحية، تشمل الجوانب الجمالية لطبيعة الأرض والغطاء النباتي والمناخ وامتداد الشواطىء والجبال والسهول والصحارى. ولعل من أهم الأماكن السياحية في المملكة عسير، والطائف، والباحة.

وتعد منطقة عسير من أجمل مناطق المملكة، بما حباها الله من طبيعة خلابة ومناخ معتدل، وحياة برية متنوعة، ومروج، وغابات خضر. وقد حرصت الدولة على تجميل منطقة عسير وانشاء المتنزهات العديدة فيها وايصال الخدمات للمصايف المعروفة مثل مصيف السودة، ودلغان، والقرعاء. كما تكثر في انحاء المنطقة النقوش والرسوم المحفورة على الصخور وعلى جدران الكهوف التي ترجع في أكثرها الى عهود ما قبل الاسلام. اضافة الى ما يوجد في تلك الأماكن من انماط زراعية ومعمارية واجتماعية وتراثية متميزة. ولقد أصبحت هذه المنطقة من أكبر المناطق السياحية في المملكة وأكثرها أهمية.

وتتمثل الامكانات الطبيعية في عسير بالسهول والجبال الغنية بالغابات وأودية تهامة الخضر، وسهولها الساحلية التي تتمتع بعذرية نادرة لم تستغل حتى الآن، هذا بالاضافة الى المناخ المعتدل صيفا وشتاء كما تشتهر المنطقة بالصناعات والحرف اليدوية، والتراث الشعبي والثقافي.

اضافة الى ذلك فان في منطقة عسير مرابع دائمة للربيع، حيث الجبال الشاهقة التي تعانق السحاب على ارتفاع يصل الى أكثر من ٣٠٠٠ متر، والتي تحتضن غابات اشجار العرعر، المتناثرة في السفوح وعلى جوانب الجبال، حيث ترى أنواع الأشجار والنباتات المختلفة، وهي تتشبث بما تيسر لها من قشرة أرضية، فوق الصخور، شاقة طريقها بعناد واصرار في أعماق الجبال، وتعانق أغصانها السحاب والضباب، لا يقطع هدوءها الا هدهدة يمامة أو رفرفة طائر بجناحيه، باثا نجواه وشكواه الى غيمة عابرة، أو زخة مطر نازلة، ومسبحا باسم ربه تعالى على ما منحه من نعمة وطمأنينة. ولا يكدر سكينتها الا مزمار الراعي الذي يسرح بغنماته في هذه الرياض والغياض، وهو يوجه حركة قطيعه بايقاع نغماته.



الضباب والندى يعانقان قمم الجبال الشاهقة في منطقة عسير.

أما الوديان السحيقة، في هذه المنطقة، ففيها من الهيبة والجلال، ما يأخذ بالألباب، ويبعث السكينة والهدوء في النفس المكدودة، التي اتعبتها المدينة المعاصرة، بكل تعقيداتها، وتتميز منطقة عسير بغطاء نباتي وافر، وتشكيلة متنوعة وغنية من الازهار والورود، التي تشكل ثروة كبيرة، قابلة للاستثمار في صناعة العطورات والادوية العشبية وغيرها من الأغراض الجمالية.

أما الغيث في هذه المنطقة فينهمر على هذه المرتفعات الجميلة، على شكل سيول أشبه بالأنهار المتقطعة، والغدران الصغيرة التي تحمل الخصب والنماء، حيث تكتحل المدرجات بالطمي الارجواني والعناصر المعدنية الكافية، لتغذية مئات الأنواع من الأزهار والنباتات التي تفوح برائحتها الزكية، وتعبق الجو بشذى عطرها الطيب وأريجها الفواح، مزينة خاصرة الجبال والمدرجات بألوان جميلة زاهية.

وقد حبا الله هذه المنطقة أيضا بثروة حيوانية غنية كما ونوعا، ومخلوقات فطرية وبرية متنوعة، اتخذت من صخور هذه الجهات اوكارا للتكاثر والتناسل بعيدا عن تدخلات الانسان، ومنها الصقور التي يراها الزائر، وهي تداعب التيارات الهوائية في بطون الاودية، مستفيدة منها في عمليات التحليق والمطاردة ضمن حركاتها ومناوراتها كرا وفرا.. اقداما واحجاما. ولقد اسهم مركز تربية الصقور، الذي تبناه سمو الأمير، خالد الفيصل، أمير منطقة عسير، في المحافظة على سلالات جيدة من الصقور المحلية والمهجنة، وفق أحدث الاساليب العلمية. مما يجعل هذا المشروع حجر الزاوية في مجال المحافظة على الحياة الفطرية بالمملكة.

وتقطن المنطقة مجاميع متنوعة من الطيور والعصافير المستقرة منها والمهاجرة، اتخذت من هذه البقعة الخلابة، محطة استقرار، أو «ترانزيت» نظرا لملائمتها لحياتها البرية. وتأتي كل هذه المظاهر الطبيعية، وسط حياة ريفية غنية بالتقاليد الزراعية، يعيشها فلاح هذه المنطقة الذي استطاع أن يروض هذه الجبال ويحولها الى مدرجات خضر، تنتج القمح والعدس والخضراوات والفواكه.

ومجمل القول ان في مصايف (السودة، ودلغان، والقرعاء) تكمن مناطق دائمة الربيع، تمتلك كل مقومات الصناعة السياحية الناجحة من جبال، ووديان، وغابات، وسدود، وحياة فطرية، وتراث بشري. وعلى مسافة ليست ببعيدة من هذه المرتفعات، توجد تهامة الساحلية، التي هي نافذة المنطقة على البحر، حيث تصافح مياه السيول الوافدة من مرتفعات عسير، أمواج البحر الأحمر، الذي يزخر بامكانات بحرية سياحية هائلة، لعل أهمها الشعاب المرجانية، التي هي بمثابة غابات بحرية تعيش فيها الكائنات والأسماك والمخلوقات البحرية في بيئات طبيعية متكاملة. وهذا ما يجعل من قضية الاستثمار السياحي بالمنطقة، أمرا مهما وملحا من أجل قيام صناعة سياحية متكاملة، تشجيعا وتنويعا لمصادر الاقتصاد الوطني، سواء في وسط المرتفعات الجبلية، أو على الشواطىء العذراء التي تحتضنها شواطىء تهامة □

**تصوير:** عبدالله الدبيس/ ارامكو



# نفثات

شعر: د. عزت شندي موسى / القاهرة

كلما مرَّ شبابي ... ضلَّ من شجوٍ صوابي
كلّ يومٍ ينقضي يمحو سطوراً من كتابي
ما شبابي.. ما كتابي؟ ... هل لسؤلي من جوابِ؟
ما لهذا العيش أضحى ... كخداعٍ من سرابِ
وحياةُ المرءِ تبدو ... كوميضٍ من شهابِ
بينما أجْري ولا أدْ ... ري الى أينَ مآبي

* * *

كلما أبصرتُ حولي ... لا أرى غيرَ اغترابِ
ذلكَ البدرُ تجلّى ... واختفى خلفَ السحابِ
ذلكَ الكوكبُ أمسى ... غاربا بين الروابي
ذلك البلبلُ غنّى ... وثوى فوقَ الهضابِ
والغديرُ العذب أمسى ... ناضباً بعدَ انسيابِ
رحلةٌ تمضي سريعا ... في ذهابٍ.. وإيابِ
وأنا الهيمانُ لا أد ... ري متى فصْلُ الخطابِ؟!

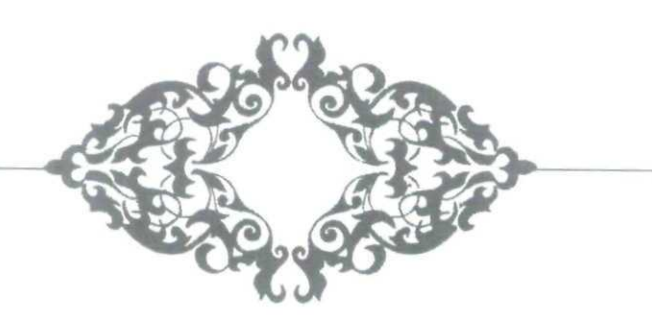
* * *

ليسَ من باقٍ سوى الرحمنِ يَهديني صَوابي
ليس من خُلّدٍ لغيرِ اللهِ قهّارِ الرقابِ
كلما آذنَ يومٌ ... بانقضاءٍ... وانسحابِ
دارَ في الأفلاكِ حيْني ... ثم نادى باقترابي
فتلمّسْتُ كياني ... بين طياتِ ثيابي!

* * *

أنا يا ربُّ مسيءٌ ... لم أوفَّقْ للثّوابِ
أنا إنْ أذنبْتُ يوماً ... فإلى اللهِ متَابي
ولئِنْ طوّفت حيناً ... فلقدْ عدت لبابِي
فارحَمِ اللهمَّ ضعْفي ... وأنيني وانتحابي
وترفّق يا عظيمَ الجاهِ بي يومَ الحسابِ
واعفُ عنْ ذنبي وسامِحْني وخففْ من عِقابي
فلقد جئتُ كريمَ السّاحِ.. مأمون الجنابِ

# المناهج المدرسية بين مفهومها القديم والجديد



بقلم: د. عبدالعزيز سعد العبد الهادي/الدمام

من البديهات المسلّم بها في عالم التربية أن التعليم لا ينشأ في فراغ أو يعمل في فراغ، وانما ينشأ ويعمل في وسط اجتماعي يتأثر به ويؤثر فيه. وبالتالي فان جميع التغيرات التي تطرأ على الوسط الاجتماعي لا بد وان تنعكس آثارها على التعليم بمقوماته المختلفة، ومما لا ريب فيه أن المنهج المدرسي يعد من أهم تلك المقومات وأبرزها.

وعلى ضوء التغيرات التي حدثت في الأوساط الاجتماعية تغيرت نظرة التربويين ورجال التعليم الى مفهوم المنهج المدرسي في تلك المجتمعات التي عاصرت أوجه التغيير بمناحيه المختلفة سواء الاقتصادية منها أو السياسية أو الفلسفية أو غيرها.. ولعل من أهم الأسباب التي أدت الى تجدد الرؤية حيال المناهج المدرسية هو سعي المهتمين بشؤون المناهج بوجه خاص والمسؤولين عن التعليم بوجه عام الى خلق حالة من التوافق والانسجام بين المجتمع والمدرسة وحرصهم على أن تقوم المدرسة بدورها الحيوي في تلبية احتياجات المجتمع وانشاء جيل من ابنائه قادر على التكيف مع مبادئه وقيمه من جهة، والنهوض به الى مستويات معيشية أفضل من جهة أخرى.

كان الاعتقاد السائد، وحتى مطلع القرن العشرين، لدى الكثير من التربويين التقليديين أن المنهج هو ذلك الكيان المعرفي المنظم الذي يقدمه الاساتذة لطلابهم، فالمنهج اذن في نظر هؤلاء التربويين هو ذلك الحشد من المعارف والمفاهيم التي تلقن للتلميذ من قبل اساتذته. غير أن التقليديين ما لبثوا أن ادركوا أن في هذا المفهوم للمنهج عمومية واسعة النطاق لا يتحدد معها كنه تلك المعارف ولا تتضح سماتها وضوحا بيّنا بحيث يمكن تمييز ما يصلح منها ليكون ضمن الدائرة المنهجية وما ينبغي أن يكون خارجها.

ونتيجة لتلك الضبابية التي لم تحدد معالم المحتوى المنهجي ظهرت في الأفق التعليمي بعض المفاهيم المنهجية الجديدة التي حاولت أن تعطي تعريفات أكثر دقة ووضوحا للمنهج. ومن بين تلك المفاهيم ما عرف بالمفهوم الديمومي للمنهج، ومن أبرز انصاره التربوي الأمريكي «روبرت هتشينز — Robert M. Hutchins» والذي يرى أن المنهج يجب أن يتألف من العلوم الثابتة الدائمة التي لا تتغير حقائقها العلمية على مر الأيام والسنين كالقواعد النحوية والقراءة والبلاغة والمنطق والرياضيات. ولذا فقد جاءت تسمية هذا المفهوم للمنهج مطابقة لهذا الاعتقاد بتلك المعارف. وانطلاقا من هذا المعتقد فقد رفض المتبنون لهذا المفهوم كثيرا من العلوم الأخرى نظرا لأن نظرياتها ومفاهيمها قابلة للتغير جيلا بعد جيل وحجتهم في ذلك هي أن المعرفة هي الحق وان الحق لا يتبدل في أي مكان وزمان.

ثم ما لبث أن تطور هذا المفهوم للمنهج الى ما يعرف لدى التربويين بالمفهوم الاصولي أو الاساسي للمنهج. وكان أول من قدم هذا المفهوم للساحة المنهجية هو «آرثر بيستور — Arthur Bestor»، الذي كان يرى أن المنهج الدراسي يجب أن ينحصر في خمسة مجالات هي:

- اتقان اللغة الأم ودراسة المنظوم القواعدي لها، وكذلك معرفة آدابها واكتساب ملكة الكتابة بها.
- الرياضيات.
- العلوم.
- التاريخ.
- لغة اجنبية أخرى.



وهذا التحديد لتلك الأنماط من المعارف التي يرى الأصوليون أنها هي التي يجب أن تشكل لحمة المنهج المدرسي وسداه، مستمد من رؤية فلسفية عندهم ترى أن هذه المعارف تمثل تجربة الجنس البشري وميراثه العلمي. وهي بالتالي خليقة بأن تنقل من جيل الى جيل عن طريق تلك المناهج. وهم يرون أيضا أن هذا النقل يجب أن يتم دون تحوير أو تبديل لأن ذلك الميراث العلمي ينبغي أن يظل خالدا في مضمونه ودلالاته يتأبى على تطاول الزمن وتغير البيئة وظروف الحياة.

ووجه التطوير في المفهوم الأصولي للمنهج يتجلى في قبول بعض العلوم الحديثة والمخبرية ضمن مناهجها كالكيمياء والفيزياء وغيرهما. غير أن الاصوليين ظلوا ينظرون الى بعض العلوم الاجتماعية الحديثة والتعليم المهني والتربية البدنية والفن والموسيقى نظرة دنيا، وانها يجب أن تبقى في آخر الركب المنهجي.

وعلى الرغم من هذا التطور في مفهوم المنهج لدى الاصوليين بالنسبة للديموميين، فانهم ظلوا على وفاق معهم في نواحي أخرى. فالاصوليون والديموميون متفقون على أن هدف المنهج الدراسي هو صقل العقل وتثقيفه وان المعارف التي يقرونها في مناهجهم هي القادرة على ذلك الصقل والتثقيف. فقواعد اللغة مثلا هي التي تصقل ملكة المنطق عند المتعلم كما أن الرياضيات هي التي تدربه على صحة التفكير واستنباط النتائج من المقدمات.

وهذا الاعتقاد بوجود علاقة بين بعض العلوم وبعض الملكات العقلية وقدرة تلك العلوم على صقل تلك الملكات ترجع جذوره الى القرن الثامن عشر الميلادي حيث ظهرت نظرية تبناها «توماس ريد — Thomas Reid » وطورها، فيما بعد، «فرانز جوزيف جول — Franz Joseph Gall » بحيث أصبحت تعرف بعلم «نفس الملكات»، ويزعم المؤيدون لهذه النظرية بأن الملكات العقلية يمكن تقويتها بالمران والتدريب مثلها في ذلك مثل عضلات الجسم التي يمكن تقويتها بكثرة التدريب والممارسة وان هناك علوما معينة يمكن من خلال دراستها أن تقوي ملكات معينة. بيد أن هذا الاعتقاد قد تداعى أمام النتائج التي تمخضت عن تجارب ودراسات العالم التربوي والنفسي الامريكي «ادوارد ثورندايك — Edward Thorndike ».

كما ان هناك ناحية أخرى يلتقي عندها الأصوليون والديموميون وهي العناية الفائقة بعقل الدارس دون الاهتمام بوجدانه وميوله واهتماماته. فهم يرون أن رسالة المدرسة الحقيقية تتمثل في صقل الفكر واثرائه بالمعلومات التي تشكل تراث الآباء والأجداد دون الالتفات الى شعور التلميذ الذي يتلقى المعلومات ومدى فاعليتها وجدواها في حياته اليومية. بل ان الاصوليين والديموميين يعيبون على أولئك الذي يعيرون الجانب الوجداني اهتمامهم عند بنائهم للمنهج متهمينهم بأنهم قد حادوا عن طريق الصواب وأفسدوا على المدرسة دورها التعليمي المتميز.

ومهما يكن من أمر فان ذلك النقد لم يستطع أن يشكل سدا منيعا امام حركة التجديد أو عائقا ضد ظهور افكار ومفاهيم جديدة للمنهج الدراسي مغايرة لتلك المفاهيم التي تبناها الاصوليون والديموميون. وأبرز تلك المفاهيم التي ظهرت من أجل التجديد والتحديث هو المفهوم التقدمي للمنهج، والذي يناصره



التربوي الامريكي الذائع الصيت «جون ديوي — John Dewey». فعلى الرغم من ان التقدميين يتفقون مع الديموميين والاصوليين على أهمية التراث العلمي للأجيال السابقة، فانهم يختلفون معهم في كيفية نقله الى الأجيال اللاحقة. فاذا كان الديموميون والاصوليون يرون أن التراث المعرفي يجب أن ينقل من جيل الى جيل نقلا لا تبديل فيه ولا تحوير فان التقدميين يرون أن هذا التراث يجب أن يقدم الى التلاميذ على نحو يتفاعلون معه وان يطوع بحيث يخدم المشكلات التي يعيشونها ويكون ذلك التراث المعرفي وسيلة لحل تلك المشكلات التي تواجههم في حياتهم العلمية. ومن هذا المنطلق تولدت عند التقدميين أهمية المتعلم وأخذه في الاعتبار عن صياغة المنهج بحيث يكون هناك انسجام بين طبيعة المتعلم واحتياجاته وحياته الواقعية وبين طبيعة المنهج الذي يقرر عليه دراسته. فالتقدميون يرون أن دور المدرسة من خلال مناهجها الدراسية هو انشاء جيل قادر على تحسين الحياة وتطويرها وخلق مستقبل أكثر تقدما وازدهارا لا أن يكون دورها انتاج جيل مماثل تماما للجيل الذي يسبقه لأن معنى ذلك جمود المجتمعات عند مستوى معيشي وثقافي وحضاري محدود.

وعلى أثر هذا الاحساس لدى التقدميين بانقطاع الصلة بين مقررات الدراسة، والتي كانت تمثل المنهج بمفهومه التقليدي وبين طبيعة المتعلم واحتياجاته وكذلك احساسهم بالفجوة العميقة بين المدرسة وحياة المتعلم اليومية وواقعه المعيشي، على أثر ذلك كله، هاجم التقدميون تلك المفاهيم التقليدية للمنهج ورأوا أن الخطة السليمة لبناء المنهج هي تلك التي تختار من المخزون المعرفي للجنس البشري ما يتلاءم مع طبيعة المتعلم وقدراته وتكييفه بحيث يتناسب مع احتياجاته المعيشية وبحيث يكون تعلم هذا المنهج سبيلا الى مستوى معيشي أفضل.

وعلى الرغم من ظهور بعض التقدميين المتطرفين الذين كانوا يرون أن الطفل يجب أن يكون محور العملية التعليمية وان جميع الأنشطة التعليمية يجب أن تتمركز حول ميوله ورغباته بحيث تكون تلك الميول والرغبات هي نقطة الانطلاق نحو بناء المنهج واختيار مادته العلمية، فان المعتدلين منهم وقفوا من أولئك المتطرفين موقف السخرية والاستغراب بسبب ذلك الاتجاه الذي يرى أن تلبية ميول ورغبات المتعلم هي الغاية الوحيدة من المنهج الدراسي. فالمعتدلون ومن بينهم «جون ديوي» يرون أن التراث العلمي للأجيال السابقة واحتياجات المتعلم وما تتطلبه حياته اليومية عنصران مهمان ومتكافئان في تصميم المنهج المدرسي.

ثمّ ما لبث أن تطور مفهوم المنهج ليتسع الى كل الخبرات التي يتلقاها الطفل تحت توجيه المدرسين وان لا يقتصر على التراث المعرفي المورث كما يراه كل من «كاسويل — H. L. Caswell» و«كامبل — D. S. Campbell» في تعريفهما للمنهج عام ١٩٣٥م. ولم يقف التوسع في مفهوم المنهج الى هذا الحد بل اتسع اكثر فأكثر ليشمل جميع الخبرات التي يتلقاها التلميذ في اطار البيئة المدرسية دون قيد. ولعل هذا التوسع في مفهوم المنهج لم يحسب حسابا للخبرات غير المرغوب فيها وغير المقصودة والمشمولة ضمن أهداف المدرسة. كما أن هذا المفهوم الواسع للمنهج قد اعتبر تلك الخبرات المكتسبة اهدافا في حد ذاتها دون ايضاح دقيق للنتائج المتوخاة من تلك الخبرات. اضافة الى ذلك فان هذا المفهوم الجديد للمنهج قد الغى الحدود الفاصلة بين المنهج المدرسي والنشاط غير المنهجي شاملا بذلك الخبرات الفردية التي يكتسبها كل تلميذ من خلال نشاطاته غير المنهجية. وهذا ما دفع بعض المتخصصين في مجال المناهج المدرسية الى القول بأن المفهوم الجديد للمنهج بشموليته الواسعة قد جعل لكل طالب في المدرسة منهجه الخاص.

وكمحاولة للعودة بمفهوم المنهج الى حدود أكثر احكاما فقد قدم «رالف تايلر — Ralph Tyler» عام ١٩٥٦ تعريفا للمنهج أكثر دقة محددا اياه بأنه جميع ما يتعلمه التلاميذ من الخبرات المخطط لها والموجهة من قبل المدرسة لتحقق اهدافها التعليمية. والحقيقة في هذا التعريف دقة واحكاما لا نجدهما في تعريف «كاسويل» و«كامبل» ومن توسع في مفهوم المنهج الى أبعد مما ذهبا اليه. فهذا التعريف الذي قدمه «تايلر» يستبعد جميع الخبرات التي تتنافى مع أهداف المدرسة التعليمية والتربوية والتي قد يتعلمها داخل اطار بيئته المدرسية من عناصر مختلفة في المدرسة ثم أن «تايلر» في تعريفه الآنف الذكر لا يجعل الخبرات التي يكتسبها التلميذ داخل بيئته المدرسية اهدافا في حد ذاتها بل انه يجعلها وسيلة لتحقيق اهداف المدرسة التعليمية والتربوية.

ورغم محاولات بعض التربويين المهتمين بشؤون المناهج اعطاء تعاريف جديدة للمنهج، الا أن تعريف «تايلر» يظل أكثر التعاريف قبولا وتطبيقا في مجال التربية والتعليم لما فيه من تجديد يتواءم مع تطور المفهوم التربوي والتعليمي للمدرسة كما يتواءم مع النظرة المتجددة للمتعلم والقائمة على أسس سيكولوجية سليمة □

# نازك الملائكة و "شجرة القمر"

بقلم: فوزي عبد القادر الميلادي/الاسكندرية

عندما أخذت أطالع ديوان الشاعرة العراقية نازك الملائكة «شجرة القمر» تبادر الى ذهني للوهلة الأولى هذا السؤال.. ما هذا المنعطف الجديد الذي أن انعطفت اليه نازك وشعرها في هذا الديوان؟

لقد كان من سمات ومميزات دواوينها السابقة وضوح الصور الشعرية، ووضوح الرؤية بل وبساطتها مع عمق في المعاني وسلاسة في الألفاظ وموسيقى شعرية تتدفق بين جنبات قصائدها فما بالها في هذا الديوان «شجرة القمر» تلجأ الى الرموز والأحاجي والألغاز والقصص الخيالية التي يجهد القارئ نفسه في البحث عن مدلولاتها حتى لو كانت قد وضعت يده على أول خيط وبداية الطريق كما فعلت في مقدمة ذلك الديوان.

لكنني ما كدت أعيد قراءة الديوان مرة ومرات ثم أعود الى دواوينها السابقة وخاصة ديوانها الأول «عاشقة الليل» حتى وجدت شعر نازك لم يتغير جوهره في شيء، ذلك أنها تستلهم شعرها من منابع ثلاثة لا تحيد عنها: وصف الطبيعة والافتتان بها، والغوص الى أعماق النفس البشرية وتصوير خلجاتها، والتغني بالحياة.

واستطعت بذلك أن اخلص الى نتيجة اراحتني كثيرا وهي أن التغير هو في أسلوب العرض أو الشكل، وليس في المضمون وهو التغير الى افضل، فيه تجديد وفيه تطور، ذلك أن الأسلوب القصصي في الشعر وهو الاطار الذي افرغت فيه نازك قصيدتها الرئيسية في الديوان «شجرة القمر» هو من أرقى أساليب الشعر المعاصر وذلك طالما لم يفقده السَّرد القصصي لمسة الفن وروعته وطلاوة الشعر وعذوبته طالما ظل الشاعر بمنأى عن النثرية والتقرير.

وقصة «شجرة القمر» قد تكون قصة ساذجة، بسيطة مما يحكى للأطفال في سن الصبا وقد حكتها الشاعرة فعلا لبنت خالتها «ميسورة» ذات ليلة من ليالي سنة **١٩٤٩** ولكنها في جوهرها عميقة المضمون، صبي صغير يفتتن بالقمر فينصب له الشباك ويقيده ويأخذه أسيرا الى كوخه حيث يحتفظ به لنفسه ويحجب ضياءه عن الناس وتخرج الجماهير في كل مكان باحثة عن القمر وتتجه الى كوخ الصبي تدق بابه في اصرار وعناد مطالبة بالافراج عن القمر السجين فيهتدي الصبي الى فكرة دفن القمر في أرض الكوخ ليخفيه عن أعين الجماهير الغاضبة التي تدخل الكوخ فلا تجد شيئا فتنصرف آسفة غاضبة. لكن القمر الذي دفن في أرض الكوخ تنبت بذرته شجرة، ليست ككل الأشجار، وثمارها ليست ككل الثمار، تغار منها الأشجار والشجيرات، لكن الأمر لا يستمر على هذا المنوال كثيرا. فبعد فترة طالت أم قصرت يعود القمر الى سماء الكون يأخذ مكانه في كبد السماء ويضيء الدنيا كلها.

ولنتابع بعد ذلك أبيات القصيدة التي أفرغت فيها نازك هذه القصة والتي تقرر اعترافا بالحق في مقدمة الديوان انها استلهمت فكرتها دون البناء أو الصور أو الأساليب من قصيدة لشاعرة انجليزية قرأتها ذات يوم ونسيت اسم القصيدة والديوان والشاعرة على السواء.

تبدأ القصيدة بوصف مسرح أحداث القصة هكذا على قمة من جبال الشمال كساها الصنوبر:

**عند ذراها لتقضي المساء ... وترسو الفراشات**
**وعند ينابيعها تستحم نجوم السماء**

ثم تنتقل الى وصف البطل وهو الغلام:

**هنالك كان يعيش غلام، بعيد الخيال**
**اذا جاع يأكل ضوء النجوم ولون الجبال**
**ويشرب عطر الصنوبر والياسمين الخضل**
**ويملأ افكاره من شذى الزنبق المنفصل**
**وكانت خلاصة أحلامه أن يصيد القمر**
**ويودعه قفصاً من ندى وشذى وزهر**

وتواتي الغلام الفرصة وهو قريب من القمر والقمر غافل عنه وعما يدبره له:

**وكان قريبا ولم ير صيادنا الباسما**
**على التل فانساب يذرع افق الدجى طالما**
**وأخفاه في كوخه لا يمل اليه النظر**
**أذلك حلم؟ وكيف وقد صاد.. صاد القمر**

ويبحث الناس عن القمر فلا يجدونه:

**ونادت صبايا الجبال جميعا «نريد القمر»**
**فرددت القمم السامقات «نريد القمر»**

وتزحف الجماهير نحو الكوخ بحثا عن القمر.. فماذا يفعل..؟؟!

**ومرت دقائق مثقلات وقلب الغلام**
**تمزقه مُدية الشك في حسرة وظلام**
**وجاء بفأس وراح يشق الثرى في ضجر**
**ليدفن هذا الاسير الجميل وأين المفر؟**

وحطمت الجماهير الثائرة باب الكوخ فماذا وجدت؟ لم تجد شيئا.

**فلا شيء في الكوخ غير السكون وغير الظلم**
**وأما الغلام فقد نام مستغرقا في الحلم**
**وحار الرعاة أيسرق هذا البريء القمر؟**

وتترك الشاعرة الجماهير في تساؤلها وتعود الى وصف حالة الغلام ذات صباح يفيق فيجد شيئا جديدا:

**هنالك كانت تقوم وتمتد في الجو سدره**
**جدائلها كسيت خضرة خصبة اللون ثره**
**رعاها المساء وغذت شذاها شفاه القمر**
**وأرضها ضوؤه المختفي في التراب العطر**
**وأشرب أغصانها الناعمات رحيق شذاه**
**وصب على لونها فضة عصرت من سناه**
**وأثمارها.. أي لون غريب وأي ابتكار**

وتمر الأيام والسنون وينسى الناس قصة غياب القمر، ولكنه يوما ما يعود اليهم لتعود للكون بهجته ولا تفسر الشاعرة كيف كان ذلك.

**ومرت عصور وما عاد أهل القرى يذكرون**
**حياة الغلام الغريب الرؤى العبقري الحنون**
**وحتى الحياة طوت سره وتناست خطاه**
**وأقماره وأناشيده واندفاع مناه**
**وكيف اعاد لأهل القرى الواطئين القمر**
**وأطلقه في السماء كما كان دون مفر**
**يجوب الفضاء وينشر فيه الندى والبروده**
**وشبه ضباب تحدر من أمسيات بعيده**

وتختم الشاعرة قصيدتها أو قصتها هكذا..

**وهمسا كأصداء نبع تحدر في عمق كهف**
**يؤكد ان الغلام وقصته حلم صيف**

وسواء أكانت القصة حلم صيف أم أسطورة تناقلتها الأجيال فان القصة على أي حال تستحق العرض والدراسة والتأمل العميق لنرى في صدق مكانها بين شعر نازك وبين الشعر المعاصر وكنت أود لو عرضت هنا القصيدة كاملة لولا أنها تقع في مائة وأربعة وأربعين بيتا.

هــذه القصيدة في رأيها وبغض النظر عما أوردته الشاعرة في مقدمة الديوان.. فالغلام رمز للأثرة الانسانية على وجه الأرض.. والقمر رمز لمعاني وقيم الحق والخير والجمال وزحف الجماهير بحثا عن القمر يدل على أن الحياة على وجه الأرض، وان طال الزمن، لا تستقيم بدون تلك القيم، وعودة القمر الى مكانه ثانية يضيء الكون بضيائه رمز لعودة الحق الى أصحابه الشرعيين.

وثمة تساؤل يطرح نفسه في هذا المقام ألا يمكن أن يكون هذا الغلام رمزا لحاكم مستبد أراد أن يجمع بين يديه كل عناصر الخير في البلاد ويكنزها دون رعيته، وأفلح في ذلك زمنا ثم دار الزمن دورته، وعادت للرعية حقوقها كاملة.

إن القصة تحتمل هذا وأكثر منه لكن التأويل الذي أتت به الشاعرة في مقدمة ديوانها تأويل مبسط وشاعري في الوقت ذاته وفي ذلك تقول الشاعرة «ولعله لا يخفى أن الغلام في قصيدتي رمز للشاعر اذ الفنان يحب الطبيعة حبا يفوق حب الآخرين لها ويريد أن يقترب منها ويذوب فيها ليصوغ منها ألحانه وقصائده.. وتكون ثورة الرعاة والصيادين رمزا للحق العام في القمر فاذا كانوا لا يصلون الى استرجاع الأسير، فان ذلك لا يتم الا بخدعة يرتكبها الغلام فهو يدفن القمر في الأرض ليستنبت منه شجرة سامقة لا مثيل لها بين الشجر. وما معنى ذلك؟ معناه أن الفنان يتناول الطبيعة وينزع منها فنه،فاذا كان في السماء قمر يملكه الوجود كله، فان في وسع الفنان الذي يحب ذلك القمر أن يصنع نماذج منه في قصائد وصور. وتنتهي القصيدة بأن يعيد الفنان القمر العام الى الوجود ويكتفي بالأقمار التي أثمرتها شجرة الشاعر..»

وواضح أن نازك في هذا التأويل وذلك التحليل متأثرة بصفتها كشاعرة وفنانة. لكن الدارس أو الناقد للقصيدة من واجبه أن ينظر اليها نظرة أكثر عمقا وحيادا. ولكن ما بالنا نشغل أنفسنا بالرموز والأهداف الظاهرة والباطنة ونغفل عن الصور الشعرية النادرة التي تزخر بها القصيدة مسرح القصة الذي أضفت عليه الشاعرة جوا رائعا، ثم تأتي الفراشات من بعيد لتقف على تلك القمم لا لتضيف بألوانها الزاهية بعدا جديدا الى الصورة المادية للوحة فحسب وإنما لتبعث في المسرح كله الحيوية بأناشيد المساء.

هذا على القمم الشامخة، أما عند الينابيع فان صورة النجوم قد انعكست فبدت وكأنها تستحم في تلك الينابيع الصافية.

وقــد تكون الصورة الأخيرة مستوحاة من شعر علي محمود طه في قوله «في شراع تسبح الأنجم اثره» من قصيدته الجندول وقد لا تكون كذلك لكنها على أية حال جاءت أجمل وأدق من صورة علي محمود طه كما جاءت مكملة للوحة التي رسمتها الشاعرة لمسرح الأحداث.

أما شخصية الغلام، بطل القصة، الذي ظل يتربص بالقمر حتى استطاع أن يصطاده فقد أكدت الشاعرة بوصفها له مقومات تلك الشخصية كفنان أصيل يذوب في الطبيعة حبا. فهذا الغلام ليس فقط بعيد الخيال وهي سمة كل الشعراء والفنانين، وإنما هو لا تعنيه المادة في شيء. وغذاء الروح عنده هو أفضل غذاء فهو يلتهم جمال الطبيعة وضوء النجوم ولون الجبال، وشرابه ليس كشراب الناس، انه يشرب عطر الصنوبر والياسمين.

وفي الكوخ أيضا حيث تدخل الجماهير الزاحفة قدمت الشاعرة لوحة معبرة جديرة بالتأمل والإمعان،الكوخ يحيط به السكون والظلام والغلام نائم حالم والرعاة يقفون في حيرة وتردد يسألون أنفسهم هل مثل هذا الغلام الصغير البريء قادر على أن يسرق القمر.. ثم أين هو القمر؟

أما الشجرة التي نبتت من بذرة القمر فقد أحسنت الشاعرة تصويرها فجدائلها مكسوة بالخضرة وأثمارها ذات لون غريب وجميل جعل حتى النجوم تتساءل عن سره في حيرة وهي لا تدري أن مصدر الشجرة هو أبوها القمر وجعل النهار — الذي يسطع بضوء الشمس يغار من ضوئها وجمالها. أما الشجيرات المقلدة الجامدة فمن حقها طبعا أن تجن لأنها رأت بينها شجرة ليست كسائر الشجر لا أغصانا ولا ثمرا ولا عطرا.

تلك القصيدة «شجرة القمر» هي قمة انتاج نازك الشعري كله☐

# محمد حسن عواد

## الشاعر الأديب

بقلم: د. مصطفى ابراهيم حسين / الرياض

### المعلم الأديب

هو محمد حسن قاسم عواد. ولد بمدينة جدة في عام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م والتحق، في طفولته، بأحد الكتاتيب ليتعلم القراءة والكتابة ويحفظ القرآن الكريم، كما عهد به والده الى أحد اصدقائه ليعلمه الخط. ثم ألحقه بمدرسة الفلاح في جدة. وبعد وفاة والده، كفله خاله «محمد بن زقر»، وأحاطه بالرعاية والعطف، بما عوضه عن رحيل الأب. وظلت رعاية خاله له حتى تخرج في مدرسة الفلاح، وحصل منها على شهادة الدراسة الثانوية.

ويحكي العواد — رحمه الله — عن هذه الفترة من حياته فيقول: «كنت شديد الحركة والتأمل والشيطنة والاقدام على الدراسة.. وقد عشت أشبه باليتيم، لأن والدي — رحمه الله — توفي وأنا ما أزال بالمدرسة طالبا. فشعرت بالحاجة الى الظل الذي فقدته. ولكنني لم اطأطىء الرأس للظرف القاهر. وكان من عطف أمي وخالي بعض التعويض. وأكملت الدراسة في مدرسة الفلاح. ومن اساتذتي ضياء الدين رجب وغيره.»

وعبارة العواد تلخص جوانب هامة في شخصيته ظهرت منذ طفولته، ولازمته، في رجولته، فان وصفه لنفسه بأنه كان — في طفولته — «شديد الحركة والتأمل والشيطنة» ينم عن الطاقة المتفجرة في أعماقه. والتي تحولت مع سني الرجولة الى رغبة متفجرة الى الاصلاح الشامل، ولو بالطفرة، والى معارك أدبية خرجت عن حدود الاعتدال الى النبز والسخرية والاستعلاء، ضد قرناء فضلاء في ساحة الأدب.

وبعد تخرج العواد في مدرسة الفلاح، عين مدرسا بها، وكان من أبرز اساتذتها، وأحبهم الى نفوس الطلاب، وهو — آنذاك — يتفجر بالنزوع الى الاصلاح والتطوير، ويولد داخل مدرسة الفلاح حركة فكرية وأدبية، ما تلبث أن تؤتي ثمارها، بمن خرجتهم ونشأتهم من الأدباء. وقد كان من بين تلاميذ محمد حسن عواد الأديب حمزة شحاته، وأحمد قنديل، ومحمود عارف، وعباس حلواني، ومحمد علي باحيدرة، ومحمد علي مغربي. وكلهم صار فيما بعد من أبرز الأدباء على الساحتين المحلية والعربية، وكلهم استمد من العواد روحه المشبوبة، وطاقاته المتفجرة، لا نستثني من ذلك تلميذه وخصمه حمزة شحاتة، ومعاركه الضارية ضد العواد، علامة لا يغفلها التاريخ الأدبي للثقافة السعودية والعربية المعاصرة.

ولندع للاستاذ محمد علي المغربي، أحد تلامذته، الحديث عنه ليقول: «انني كنت من تلامذته في مدرسة الفلاح، ووجدت من حسن رعايته وتشجيعه ما كان له أعظم الأثر في نفسي، فلقد كان أول من شجعني على الكتابة اذ كان يدرس لنا مادة الانشاء — وهو الاسم الذي كان يطلق على مادة اللغة العربية. ولعل الكثير ممن لا يعرفون ان أول مؤلفات العواد كان في شرح هذه المادة واسمه «الاكليل الذهبي في تعليم الانشاء العربي». وقد أهداني نسخة منه تشجيعا لي على تجديد ما أكتب، وكان لهذه الجائزة أثرها في نفسي وأنا تلميذ صغير في المرحلة الابتدائية.»

وقد تولى العواد — عدا تدريسه بالفلاح، وظائف ادارية، شأن الكثيرين من

الأدباء السعوديين، فكان معاونا للتفتيش على المدارس والكتب الواردة الى المملكة من الخارج، بما يشبه الآن وظيفة «رقيب المطبوعات». وظل العواد، رحمه الله، في هذه الوظيفة احدى عشرة سنة. كما عين معاونا لمدير المدرسة السعودية الحكومية، وهي نفسها وظيفة «وكيل مدرسة» في الوقت الحالي، فكاتب ضبط في شرطة مكة، فمعاونا بالأمن العام، فمحققا جنائيا في ادارة الأمن العام، الى غير ذلك من الوظائف، التي تتطلب، فيمن يشغلها، حسن السمعة والدقة والموضوعية في الاداء. ثم كان آخر ما شغله من الوظائف عضوا لمجلس الشورى بمكة ومديرا للغرفة التجارية.

## في الصّحَـافة والنشـر

تولى العواد اعمالا مختلفة في حقلي الصحافة والنشر، فكان أحد رؤساء التحرير لجريدة «صوت الحجاز»، التي أدت دورا بارزا في الحياة الأدبية والثقافية بالمملكة العربية السعودية، وقد شاركه في رئاسة التحرير الاستاذان: محمد حسن فقي، وعبدالوهاب آشي. وكانت الجريدة تصدر اسبوعية، وكان كل واحد من هؤلاء الرؤساء الثلاثة يكتب افتتاحية العدد بالتناوب.

كذلك كان العواد، رحمه الله، أبرز كتاب جريدة «بريد الحجاز»، التي كان يصدرها الراحل الشيخ محمد صالح نصيف في مدينة جدة، في عهد الملك علي بن الحسين ابان توليه عرش الحجاز.

وقد عمل العواد، أيضا، مديرا لجريدة «البلاد السعودية» فمديرا عاما لمؤسسة الصحافة والطباعة والنشر بجدة، ثم ترك هذه الوظيفة منصرفا الى الكتابة.

ويبدو أن اشتغال العواد طويلا في حقل الصحافة قد دفعه الى أن يؤسس مع فريق من أصدقائه مؤسسة للعلاقات العامة، اطلقوا عليها اسم «مؤسسة فكفن»، ولفظ «فكفن» هو اختصار لكلمتي «فكر، وفن». ثم ما لبث العواد أن ترك هذا النشاط، ليعمل في مجال تجارة الكتب واستيرادها من الخارج.

وما من شك في أن اشتغال العواد في الصحافة، قد اتاح له فرصة الكتابة والنشر لمقالاته، التي كانت تتضمن آراءه الاصلاحية في الأدب والمجتمع، بالاضافة الى اشعاره التي اضافت الى الشعر العربي الحديث رصيدا حيا بما حفلت به من تجارب وتجديد.

## ثـقافـة العـوّاد

يمكن القول بأن العواد قد قرأ ما قرأ أدباء جيله من التراث العربي، ومن نتاج أدباء العصر كطه حسين وعباس العقاد والمازني وهيكل وأدباء المهجر، شعراء ونقاداً كما أعجب أشد الاعجاب بكتاب «الديوان في الأدب والنقد» الذي أصدره الأديبان الكبيران عباس العقاد وعبدالقادر المازني، ونشرا فيه آراءهما التجديدية في الشعر خاصة، وهاجما فيه شوقي. وسنرى أن العواد سوف يهاجم أحمد شوقي مدفوعا بما قرأ في الديوان وغيره من آراء نقدية جديدة.

وقرأ العواد ما كان يصدره شعراء ابولو من دواوين وما تنشره مجلة ابولو من المقالات والقصائد، ولهذا أعجب أحمد زكي ابو شادي —رائد جماعة ابولو— بشعر محمد حسن العواد وعبر عن اعجابه ذاك بتقريظه ديوان «البراعم»، الذي اثبته العواد في ديوان «البراعم» الصادر عام ١٣٧٣هـ.

والقاريء لكتابات العواد —وبخاصة مقالاته— يلحظ هذا المزيج المنوع من ثقافاته. حيث نجد له اشارات الى أمثال: دون كيشوت، الذي شبه به فريقا من أدعياء الأدب، كما نجد في مقالاته اشارات الى أمثال: جوته، وشلر، وهيني، وشلي، واللورد بيرون، وتوماس كارلايل، وهي ليست اشارات للتشدق والادعاء، ولكن السياق الوارد فيه يدل على معرفة جيدة بهؤلاء وبآثارهم وتأثيرهم.

وكان العواد ذا اطلاع على الموسيقى ومعرفة بها، بما يذكرنا ببعض أدباء العصر مثل حمزة شحاتة ونازك الملائكة. ونقرأ للعواد بعض مقالاته، فنجد إلماما ببعض الآداب الشرقية القديمة، وبخاصة الهندية، كما نجد له اطلاعا حسنا على ذخائر التراث العربي القديم في آدابه وعلومه الانسانية والبحتة.

## مؤلفـات العـوّاد

أصدر العواد طائفة من الكتب تنوعت بين دواوين شعرية، ومقالات مجموعة، كان قد نشرها مفرقة في صحف ومجلات، وبحوث في الأدب والتاريخ والسياسة. ومن هذه المؤلفات، ما هو دواوين شعرية، ومنها ما هو أبحاث أو كتب. ونبدأ بعرض دواوينه الشعرية.

* «**آماس واطلاس**»، وهو يضم أشعاره التي نظمها في سن مبكرة، ما بين الحادية عشرة والعشرين، ويضم ستا وأربعين قصيدة، صدرها بمقدمة حول آرائه في الشعر ويدلنا هذا الديوان على أن موهبة الشاعر في القريض قد تفتحت في وقت مبكر.
* «**البراعم**»، ويضم اثنتين وعشرين قصيدة، وهو تكملة لديوان «آماس واطلاس».
* «**نحو كيان جديد**»، ويضم نحو مائة قصيدة، مما نظمها الشاعر بين سن العشرين والثلاثين.
* «**في الأفق الملتهب**»، وقد حوى خمسا وأربعين قصيدة من الشعر الحر والعمودي والمنثور، نظمها الشاعر في مرحلة من العمر تالية للمرحلة السابقة.
* «**الساحر العظيم**»، وهو مطولة شعرية مطبوعة في كتيب صغير، عدد أبياتها حوالي ٥٧٧ بيتا، تنوعت قوافيها على حروف شتى من أحرف الروي. وقد علق الشاعر حواشي شتى على مطولته تلك لا تقل أهمية عن المطولة ذاتها. وهذه المطولة هي في الأصل مجموعة من القصائد قالها الشاعر يندد فيها بخصومه ويهون من شأنهم، ويفخر بنفسه وبقدراته الأدبية.
* «**قمم الاولمب**»، وهو الديوان السادس للعواد من حيث زمن الاخراج الطباعي، ولكنه —من حيث زمن الانتاج الشعري— يأتي تاليا لديوان «نحو كيان جديد». ويضم «قمم الأولمب» شعرا عموديا، وشعرا حرا وشعرا منثورا.

أما مؤلفات العواد النثرية فأبرزها ما يلي:

* «**خواطر مصرحة**»، وهو في جزءين، ضمنه العواد اجرأ آرائه في الاصلاح الاجتماعي والأدبي والثقافي، وهاجم —في ضراوة— ما اعتبره نوعا من التخلف، وكتب مقدمة الخواطر الاستاذ عبدالوهاب آشي، احد أصدقاء العواد، وزملاء كفاحه في الصحافة والأدب. واستهل العواد خواطره بقصيدة شعرية أهدى بها الكتاب الى بلاده يقول في مطلعها:

**نفثات حر هذه**
**لك من فؤادي يا بلادي**
**انا لا أقول لك اقرئيها**
**في المجامع والنوادي**
**لكن اقول لك اذكري**
**اني اذبت بها فؤادي**
**كيما البي داعيا**
**في النفس قام بها ينادي**

**ويُعدّ** كتاب «خواطر مصرحة»، مع كتابي «أدب الحجاز» و«المعراض» البداية الحقيقية للأدب الحديث في الحجاز ولم يجد ظهوره صداه داخل البلاد وحدها، بل أشاد به عميد الأدب العربي طه حسين. وقد صدر الجزء الأول من «خواطر مصرحة» في عام ١٣٤٥هـ، بينما صدر الجزء الثاني في عام ١٣٨٠هـ، ولو أن بعض مقالاته قد كتبها وهو دون العشرين من عمره.

* «**تأملات في الأدب والحياة**»، وهو ــ أيضا ــ طائفة من الأبحاث والمقالات في موضوعات شتى. وكان العواد ــ رحمه الله ــ قد نشرها في جريدة «صوت الحجاز» فيما بين عامي ١٣٥١هـ، و١٣٥٥هـ. وقد صدرت الطبعة الأولى من الكتاب عام ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م.
* «**محرر الرقيق**»، وهو دراسة تحليلية تاريخية لسيرة الخليفة الأموي سليمان بن عبدالملك، ودوره في تحرير الرقيق. والكتاب ــ بمنحاه التاريخي ــ يشكل ايضا دعوة اصلاحية اجتماعية.

## العواد وقضية الشعر الحر

استحوذ فن الشعر على اهتمام العواد النقدي، فعالج دراسته في اطار دعوته الشاملة الى التجديد الأدبي والثقافي والاجتماعي. ونال «عنصر الموسيقى» منه حظا كبيرا من العناية، سواء في ذلك الموسيقى الداخلية أو الموسيقى الخارجية. ويقول بشأن الموسيقى الداخلية في مقال بعنوان «الشعر بين فرصة الموت وفرص الحياة»: «الشعر الرائع الحي هو هذه القوة الداخلية التي تتكون في النفس، وتتفجر من أعماقها كيانا يندفع من الداخل الى الخارج، فتقوم هي بدفع حياة موجودة، أو ولادة حياة جديدة.. انه تيار منطلق تتألف عناصر دفقاته من شعور صادق، وفكر فعال وارادة وامل.. تنسجم هذه الأشياء كيميائيا بمقادير ونسب تنسقها موسيقى غير مسموعة تسمى: الموسيقى الداخلية للشعر. وبعد ذلك، لا قبله ولا بدونه، تخلق الالفاظ وتتنوع الجمل باللغة الطبيعية للشاعر، وتجري بها الأساليب والقوافي والاوزان، وينسق الشاعر هذه العناصر الخارجية كأكسية لتلك العناصر الداخلية موسيقى مسموعة ومقروءة تسمى الموسيقى الخارجية للشعر».

ويؤكد العواد، بأكثر من عبارة، هو أن الوزن والقافية كعنصرين للموسيقى الخارجية، بالنسبة للموسيقى الداخلية، حتى انه يرى امكان الاستغناء عن الموسيقى الخارجية، بينما لا يمكن الاستغناء عن الموسيقى الداخلية. يقول العواد: «واذا لم يستغن الشاعر عن عناصره الداخلية، فانه قد يستغني عن **بعض عناصره الخارجية، وأكثر هذه العناصر تعرضا وقابلية للاستغناء عنصرا الوزن والقافية**».

من هذا المنطلق تحمس العواد للشعر الحر، وجاهر بتحمسه ذاك، كما جاهر بسائر آرائه التجديدية في المجتمع والثقافة في اندفاع بالغ. ومع أن العواد قد تابع عباس العقاد في الكثير من آرائه، فانه خالفه فيما يتعلق بالشعر الحر. لقد وقف العقاد ضد الشعر الحر، وقاوم اتباعه يوما ما. ويذكر المثقفون انه ــ حين كان مقررا للجنة الشعر في المجلس الأعلى للآداب بالقاهرة ــ وضع كل ما ورد الى اللجنة من قصائد الشعر الحر في مظروف خاص وكتب عليه: «يحول الى لجنة النثر لعدم الاختصاص». غير أن العواد، وهو واحد من أشد المثقفين اعجابا به، قد خالفه في نظرته للشعر الحر.

## العواد مؤلف العروض

وقد نشر العواد كتاب «الطريق الى موسيقى الشعر الخارجية»، وربما توقع قارئو العواد أن يكون هذا الكتاب دراسة لموسيقى الشعر الحر، لكن العواد خالف هذا التوقع، فجعل كتابه دراسة خالصة لعلم العروض كما استنبط الخليل بحوره، وتناول زحافه وعلله، وقنن لقوافيه، ووضع المصطلح. فلا يكاد يختلف الكتاب ــ فيما عدا محاولات جزئية ــ عن أي كتاب آخر وضع في دراسة «العروض والقافية».

فلماذا ألف العواد كتابه إذن؟ والجواب، ان العواد ــ شأن الكثيرين من شعراء الشعر الحر انفسهم، اراد أن يرد الشعر العربي الى منبعه اصالة وتراثا بعد «فيضان حركة الشعر الحر في البلاد العربية كلها» مما «جعل كثيرا من المحترفين أو من متسرعي الشهرة أو المعجبين به من غير أهله يستسهلون اقتحامه بنماذج مشابهة له في الشكل العام، ولكنها جوفاء ليس فيها روح الشعر ولا طبيعته، فلا احساس بالموهبة، ولا اعتراف بسلامة التخطيط، ولا التفات للمسات الاصيلة، ولا احترام لاصول الفن، وليس هناك غير الشكل، وغير الفوضى»، على حد قوله.

ونحن هنا نقتبس عبارات العواد، وما زال الكلام له يقول: «فأما الشكل فلعلهم وهموا أنه هو المراد من الشعر الحر، واما الفوضى فلعلهم زعموا أنها عملية تهريج يستطيعون أن يضللوا بها من لا يدركون الفرق بين الشعر الضوضائي والشعر السليم».

ولكن، ألم يكن من الضروري أن يضع العواد كتابا آخر في موازين الشعر الحر كما فعلت نازك الملائكة؟ فيساند بكتابه هذا محاولة نازك، ويحد من الفوضى التي سادت ساحة الشعر الحر، ويؤكد في هذا الكتاب ضرورة البدء بعروض الخليل: دراسة لقوانينه، وحفظا للأشعار التي نظمت على مقتضى هذه القوانين الخليلية. ويكشف ــ من واقع النماذج الرديئة ــ ضروب الفساد والانحراف. كما يقدم نماذج رفيعة من الشعر الحر لجيل الرواد، انتصارا للشعر الحر؟ اما أن يقدم العواد ــ رحمه الله ــ كتابا في العروض والقوافي لا يقدم جديدا ذا بال، فهو عمل كان يغني عنه عشرات من المؤلفات في العروض والقوافي.

ثمة حقيقة أخرى تتصل بعمل العواد وتحمسه للشعر الحر، وهي أن العواد، في غمرة تحمسه للشعر الحر، قد وقف عند شكل واحد من أشكاله، وهو الشكل الذي يعتمد «التفعيلة الواحدة» فيكررها من سطر الى سطر بأعداد لا قيود لها الا طبيعة التجربة وضروراتها الموسيقية. بينما حركة الشعر الحر قد تجاوزت هذا الشكل، واعتبرته مجرد مرحلة من مراحل التطور التي اقتصرت على تفاعيل البحور النقية ممثلة في المتقارب والمتدارك والكامل والرمل والرجز، وخرجت الى استخدام تفعيلتين من بحرين مختلفين، بل تجاوزت حركة الشعر الحر الآن هذه المرحلة الى مراحل اخرى، وفقدت عنصر الضابط الموضوعي الذي به تقنن القوانين وتستنبط الموازين، واعتمدت على الضابط الذاتي، يقبله فريق ويرفضه آخر، وثرت مناقشات وقضايا بين أفراد معسكر الشعر الحر لم تنته الى شيء.

ولا نبالغ لو قلنا بأن رواد حركة الشعر الحر أنفسهم قد صاروا ــ الى حد كبير ــ مسؤولين عن حال الفوضى التي استغلها الادعياء، وهم يعيشون في الساحة على حطام واطلال.

## العواد الشاعر

فاذا تجاوزنا الجانب النظري، لدى العواد، الى الجانب التطبيقي في نطاق «قضية الشعر الحر» وجدنا العواد ــ رحمه الله ــ ينظم قصيدة الشعر الحر الى جانب قصيدة الشعر العمودي، ويعقد آصرة بين

الشكلين، ويتنقل بين الشكلين. وهذا الموقف من العواد الشاعر يدلنا على أن دعوته الى الشعر الحر لم تكن تعني نبذ الشعر العمودي، او اخلاء الساحة منه، والاقتصار على الشعر الحر. موقف العواد، اذن على المستوى النظري، يوهم بغير موقفه على المستوى التطبيقي، اذ بينا نراه في آرائه يهاجم الشعر العمودي، ويندفع في تأييده للشعر الحر، فانا رأيناه في ابداعه يجاور بين الشكلين. وهذه «المجاورة» بين أوزان الخليل واوزان أخرى مستحدثة ظلت الطابع الذي يحكم العلاقة بين قديم ومستحدث في تاريخ أدبنا العربي على اطلاقه، فلم يكن ظهور الموشحة والازجال والدوبيت، والكان وكان والمواليا والبند. أقول لم يكن ظهور هذه الأشكال المولدة والمستحدثة — لدى القدماء — يعني اختفاء الوزن الخليلي. بل ظلت القصيدة العمودية الى جوار غيرها من الأشكال. نقول هذا ونؤكده لفريق من أنصار الشعر الحر الذين اتخذوا من الأشكال المستحدثة وظهورها في التراث ذريعة للحط من الاوزان الخليلية واخلاء الساحة من حضورها.

## العـــوّاد والسّـاحر العظيم

وهدفنا، هنا، تناول عمل من الاعمال الشعرية لدى العواد، وهو مطولته «الساحر العظيم، أو يد الفن تحطم الأصنام» وهذا العمل، كما اسلفنا القول، مجموعة من القصائد المختلفة كان الشاعر قد نظمها مفرقة ابان المعركة الأدبية الشهيرة بينه وبين الشاعر حمزة شحاتة، «واستعرض العواد فيها كل المعارك الأدبية التي خاضها».

وتأتي «الساحر العظيم» بسطا لآراء العواد النقدية وتصوراته الأدبية، وهجوما كاسحا ضاريا على خصومه، دون اقتصار على حمزة شحاتة وحده، مع روح العجب والادلال بالمواهب الذاتية، والحط من مكانة الآخرين. ويمكن أن نقرر — في ايجاز — ان قصيدة العواد جاءت مزيجا من الهجاء والفخر والشعر التعليمي الذي يفقد — في مواضع منه — ألق الابداع ونبض التجربة الشعرية، ليصبح افكارا مباشرة ذات صياغة نثرية الطابع.

ولـم يكتف العـــواد بما اوسع بــه خصومــه مــن هجــو وتهجم قاس، بل صنــع لقصائده حواشي، يصرح فيها — حينا — بأسماء خصومه، وحينا آخر يكتفي بكنايات وصفية عنهم.

وبالجملة فان «الساحر العظيم» تأتي في جملتها تجسيدا لمفهوم التجديد لدى العواد، ولكن في أسلوب طغت فيه الذاتية بشكل واضح.

ها هو ذا يفخر بنفسه في مطلع المطولة فيقول عن نفسه:

**عشق الخلـد طامحـا نزاعـا**
**فامتطى فنه اليه طماعا..!!**
**شاعر فنه يحلـق بالفكــ**
**ـر الى عالم أشد ارتفاعـا..!!**
**وله الفن قائما في اصــول**
**قد تبث الهدى وترمي الشعاعـا**

الى أن يقول:

**هذه عنده هي الأسس الكـ**
**ـبرى التي فنه عليها استقامـا**
**وحدة كونت على خـير سا س**
**ولها يخضـع المفن احترامـا**

والأبيات، كسائر أبيات المطولة، تنطق بروح الزهو، وتوصل التجربة الشعرية في الشكل والمضمون فالشعر «فن محلق يقوم على ثلاثة اصول هي: الجمال والقوة والصدق». ولعل المراد بالقوة هنا: قوة الخيال وقوة الوجدان.

ويشبه شعر العواد، في مواضع من مطولته، بأهاجي جرير والفرزدق ونقائضهما، في اللذع ونبرة الاستخفاف بالخصوم، وبشاعة تشبيهاته، كأن يقول مثلا عن خصومه في معاركهم ضده:

**ان آثارهــم ثغاء شيـاه**
**تبصر الذئب وانذعـار دجاج**
**هـم على ما ترى وتعلم منهـم**
**ادباء قد ركبـوا من عجـاج**
**فسأهو بهم اذا ما تناولـ**
**ـت نهاهم بوصمـة أو عـلاج**
**أو سأمضي بهم عـن النقد فالسا**
**ح تؤذيـه صيحـة الأزعــاج**
**حسبهم حالة الطفولـة في شيـ**
**ـخوخة العمر هكعة في ارتجاج**
**كلمي ترعـد الفرائص منهـم**
**وانتقادي نهاية الاحـراج**

والأبيات هنا تختلف عن سابقتها، فالأولى منصرفة الى الحديث عن اصول الابداع الشعري، كما يراها العواد، اما هذه الأبيات فهي مزيج من الهجاء والفخر. وبينما تأتي الأبيات الأولى أقرب الى النثرية والطابع التعليمي، تأتي هذه الأبيات وقد حملت قسطا من الوجدانية الحادة الحارة. وهذا هو الطابع العام للمطولة بشكل عام. فحين ينصرف العواد الى حديث عن طبيعة الشعر والأدب عموما يغلب على حديثه المنزع التعليمي، وحين يلتفت الى نفسه مادحا، والى خصومه هاجيا، يكتسب تعبيره الشعري شيئا من النبض والتوهج والايقاع الصاخب الموار.

ولـم تخل مطولة العواد من اشارات دالة على تنوع ثقافته من خلال ذكره لأمثال: «هاروت» ساحر بابل القديم، و«زازا» الساحر المصري القديم، و«ابو معشر»، الفلكي العربي الشهير، و«ابولو» الذي حرفه الى «ابو لون» تعريضا بالشاعر الكبير حمزة شحاتة، رحمه الله، هذا الى: «فينوس»، و«منيرفا»، و«هيرا». وكلها من آلهة الفن والحكمة والجمال والأدب عند الاغريق القدماء.

وينهي العواد مطولته بتسجيل انتصاره على كل خصومه واحداً اثر آخر فيقول:

**وارتقى الساحر العظيم مكانـا**
**يرقب الكـون منه أو يستريح**
**تاركا للحيـاة أن تعلن الرأ**
**ي فـتـلقـى خطابها وتبــوح**
**واعتلى منبر الخطابـة صــوت**
**من صميم الحياة ضخـم فصيح**
**فائق الوقع بالجهارة والتأ**
**ثير جـم جلالــه والوضــوح**
**لا يحاكيه في التفوق والقـ**
**ـوة رعدٌ لو دام رعد يصيح..!**

الى أن يقول:

**ونحلت الضئال من مجدي السطحي ما كان كالسراب يلوح**
**منح عدل، فللكسالى الانافيض وللقادر العطاء الربيح**
**هكذا قالها فأشرق فجر واختفت في الفضاء تلك الشبوح**

والأبيات أشبه بختام ملحمي، تكتمل به الصورة الملحمية العامة التي حاول العواد أن يرسمها للمعركة بينه وبين خصومه وهو يجعل من نفسه فارسا يطوح بخصومه، ويخرج من كل جولة ظافرا شامخ القامة □

# أخبار الزيت المصورة في أرامكو

### فحص شبكة تبريد الحاسبات في ملحق البرج

بدأت مجموعة من الفنيين السعوديين، العاملين في قسم خدمات التفتيش الهندسي التابع لادارة الخدمات الاستشارية، بالتدرب على مختلف أشكال الفحص الهندسي الذي يمكّن موظفي الصيانة من معرفة الحالة الواقعية للأجهزة ذات العلاقة بالزيت دون ايقافها عن العمل.

ويُستخدم هذا الفحص عادة في مرافق التكرير والفرضة وخطوط الأنابيب ومرافق المناطق المغمورة. وفي مطلع شهر ديسمبر ١٩٨٦ قام اربعة من الفنيين السعوديين العاملين ضمن هذا البرنامج باستخدام معرفتهم الجديدة لفحص مرفق مختلف وهو شبكة المياه المبرَّدة في ملحق الحاسبات بمبنى البرج. «وقد أتم القائمون بالفحص مهمتهم بنجاح كبير» كما يقول المنسق الاختصاصي في البرنامج بول بروكس، الذي عمل مع اثنين من الفنيين اكملا البرنامج مؤخرا وهما محمد اللباد وجعفر الهزيم، وبالتعاون مع الفنيين عبدالله البقمي ومالك العيسى، وذلك من أجل انجاز هذا الفحص الدقيق.

وخلال اجراء العملية قام الفنيون بالبحث عن ترسبات المواد الغريبة في عشرة اماكن ودون ان تتوقف الحاسبات عن العمل، حيث أن ملحق الحاسبات من موظفين ومعدات، يعمل على مدار الساعة طيلة سبعة أيام في الأسبوع. وعليه يجب أن تبقى شبكة المياه المبرَّدة في حالة عمل مستمر للحفاظ على درجات الحرارة والرطوبة المحددة بدقة لاستمرار عمل ثلاث حاسبات ضخمة تنجز مختلف أعمال ارامكو الحسابية المتعلقة بالمواد والفواتير والموظفين والمشتريات والنقل والرواتب وما الى ذلك.

وهذه المياه المبرَّدة تعمل على تكييف غرفة الحاسبات وتبريد المياه الداخلية التي تبرِّد بدورها الأجهزة المتحركة. فجميع مناطق أعمال ارامكو، بما في ذلك ينبع وشدقم وحتى شركة خدمات ارامكو مرتبطة بهذه الحاسبات كما يقول خلف الغامدي، الناظر الاداري لقسم أعمال الحاسبات. وباستطاعة المرء أن يتخيل مدى ضرورة إبقاء هذه الحاسبات في حالة عمل مستمر ولا تتعطل عن العمل بسبب انسداد انبوب في شبكة المياه المبرَّدة.

ويستخدم أسلوب الفحص التقني الجديد طاقة كهربائية مقدارها ٣٠٠ كيلوفولط، وخمس آلات أشعة لتصوير الترسبات والتآكل من خلال الأنابيب وغلافها العازل الذي يبلغ سمكه نحو ثمانية سنتمترات. ومن أجل تحديد أماكن الترسبات بدقة يقوم الفاحصون بحساب المسافة بين آلة الأشعة وشريحة الفيلم الموضوعة تحت الانبوب، وكذلك سمك جدار الانبوب، ومقدار امتصاص السوائل، التي بداخل الانبوب، للأشعة العابرة خلالها.



يبدو في مقدمة الصورة كل من عبدالله البقمي وجعفر الهزيم ومحمد اللباد، وفي المؤخرة بول بروكس ومالك العيسى وذلك أثناء عملية الفحص.



عبدالله البقمي وتوم فرقيس يطالعان صورة أنبوب جرى تصويره أثناء عملية الفحص.

## معمل الكبريت في الجبيل ينتج حبيبات الكبريت للتصدير

يعتبر معمل تصنيع الكبريت، الذي يتزود باحتياجاته من الكبريت السائل من مصفاتين للتكرير وثلاثة معامل للغاز، والموجود في المرسى رقم—٢١ بميناء الملك فهد الصناعي بالجبيل، من أكبر المعامل من نوعه في العالم. وقد جرى تشغيله في مطلع شهر أكتوبر ١٩٨٦، وتبلغ طاقته الانتاجية ٤٥٠٠ طن متري في اليوم من حبيبات الكبريت، وقد صمم هذا المعمل بحيث يتطلب الحد الادنى من الصيانة ويكون أكثر انتاجا ونقاوة.

وتستخدم طريقة «ويت فلتشر» الصناعية الماء كوسيط تبريد، لتكوين حبيبات الكبريت، ومع ذلك فان الناتج النهائي هو أقل رطوبة من المعدل بنسبة ٣ في المائة، وهي ميزة لا تتوفر في الطرق الأخرى التي تستخدم الرطوبة وسيطا لتكوين حُبَيْبات الكبريت، كما يقول مهندس المشروع صالح المبيض. كما أن عملية التحول من الأسلوب الجاف الى الأسلوب الرطب، قد اقتضت ادخال تعديلات على المرافق الموجودة بما في ذلك تركيب وحدات تكوين حبيبات الكبريت.

ويتم نقل الكبريت السائل بواسطة سيارات صهريج عازلة من معامل الغاز التابعة لأرامكو في شَدْقم والعثمانية ومعمل التكرير برأس تنورة، وتعبأ في صهاريج في معمل الغاز في البرِّي اضافة الى الكبريت الذي يتم انتاجه في معمل الغاز في البرِّي. وتستوعب أوعية التخزين ٥٠٠٠٠ طن متري من الكبريت السائل. ويجري نقل الكبريت السائل من البرِّي الى الجبيل عبر خط أنابيب قطره ٢٤ سنتيمترا وطوله ٢٣ كيلومترا، وهو أطول خط من نوعه في العالم، ومزود بالمواد العازلة والمواد المقاومة للضغط حيث يجري تسخين الكبريت السائل كهربيا. ثم ينقل هذا الكبريت السائل في خط فرعي الى خزانين في معمل تكوين الكبريت سعة كل منهما ١٢٥٠٠ طن متري. وتقوم مصفاة «بترومين—شل» في الجبيل، بتوريد الكبريت الخاص بها عن طريق خط أنابيب منفصل قطره ١٠ سنتيمترات، ومتصل بالخط الرئيسي الممتد من البرِّي الى الجبيل.

وبعد ذلك تجري معالجة الكبريت السائل عبر ثلاث وحدات لتصنيع الحبيبات. ثم يقوم جهاز التوزيع في كل وحدة بدفع الكبريت الى أوعية يتم تسخينها بالبخار، وهذه الأوعية تتخللها ثقوب صغيرة. ولدى خروج الكبريت من هذه الاوعية الى خزان مخروطي الشكل مليء بالماء، تتكون حبيبات الكبريت الدقيقة التي يتراوح حجمها بين ٣ و٦ مليمترات مكعبة.

وتواصل حبيبات الكبريت، بعد تكوينها، مسيرتها عبر جهاز مزود بفتحات معينة يقوم بدوره بتجفيف هذه الحبيبات وازالة الماء العالق بها، ثم تتجه بعد ذلك الى منخلين هزازين يقومان بنزع اكبر قدر ممكن من الماء المتبقي.

ويتم دفع الماء المستخلص من الحبيبات عبر جهاز فصل مركزي خاص باسترجاع الكبريت الناعم، والذي يكون حجمه في العادة أقل من مليمتر مكعب واحد، الا أنه ما يزال ذا قيمة تجارية.

ويقوم حزام متحرك بنقل حبيبات الكبريت المجففة الى مبنى للتخزين مصنوع من الخرسانة المسلحة، وتبلغ سعته حوالي ٨٠ الف طن متري من حبيبات الكبريت. وتندفع الحبيبات بقوة الجاذبية الى أرضية منحدرة عبر ٥٤ بوابة يتم التحكم فيها بالطاقة الكهربائية. وعند مغادرة الحبيبات هذه البوابات، يتم التقاطها بجهازي نقل ميكانيكيين يحيطان بالمبنى، ثم ينضمان الى حزام نقل طوله ١٢٢ مترا مهمته تغذية جهاز التحميل الخاص بالسفن. ويتحرك جهاز التحميل هذا على قضبان حديدية طولها حوالي ١٥٢ مترا. ومما يذكر أن هذا الكبريت يتم استخدامه في تصنيع حمض الكبريتيك والأسمدة.



من الأجزاء الرئيسية في معمل تصنيع حبيبات الكبريت في الجبيل، ثلاث وحدات لتكوير الحبيبات ويبلغ ارتفاع الوحدة خمسة طوابق، ووحدات التبريد التي تقوم بتبريد المياه بهدف اعادة استخدامها. ويرى امام احدى وحدات التكرير مهندس المشروع صالح المبيِّض والرئيس الاداري نجيب السحيم.

## برنامج الرسوم البيانية الملونة بالحاسب الآلي يساعد في تحليل محاكاة مكامن الزيت

يتضمن برنامج محاكاة مكمن البترول، بناء نموذج رياضي يرتكز على المعلومات الجيولوجية والتاريخية المتعلقة بأداء المكمن. والتي تتنبأ بما سيحدث في المكمن البترولي تحت ظروف معينة، وعلى مدى معين من الزمن. ويستطيع المهندس المختص، بواسطة تحليل نماذج المحاكاة، أن يقدر امكانية المكمن بشكل أفضل، وان يحصل على أكبر قدر ممكن من المواد الهيدروكربونية القابلة للاستخراج من المكامن الموجودة، وان يحدد أفضل المواقع لأعمال التنقيب في المستقبل. وقد ساعد هذا البرنامج على تبسيط عملية تحليل محاكاة مكامن الزيت.

ويعتبر «سمبلوت»، وهو البرنامج الذي تم تطويره بأرامكو

برنامجـا فعالا، لأنـه يضيف بُعـدا جديدا الى المصادر التحليلية المتوفرة لمهندس مكامن البترول، الذي كان الى عهد قريب، يرجع الى احصاءات متعددة الارقام في سبيل معرفة معدلات الضغط في المكامـن، ودرجـات التشبع بالموائع. وعلى الرغم من أن الرجوع الى هذه الاحصاءات لا يزال يشكل في حد ذاته جزءا مهما من عمل مهندس المكامن، فان لديه الآن طريقة اخرى ذات فاعلية لفحص هذه المعلومات، حيث أصبح الآن بمقدوره أن يراجع عروض الرسوم البيانية الملونة الخاصة بالضغوط أو الزيت، ودرجة التشبع بالماء والغاز في جزء معين من مكمن بترولي منتج في أي وقت من الأوقات. ويقوم محاكي الزيت الخام ذو المراحل الثلاث، بحساب توزيعات الضغوط، وتحليل التغييرات الكمية التي طرأت على الزيت والغاز والماء، في المكمن. كما يقوم بربط مقدار الضغوط وحالات السائل، التي تمت ملاحظتها على الطبيعة في آبار الزيت الواقعة ضمن المكمن نفسه، ويقارنها بخلايا موجودة بنموذج مكون من ثلاثة أبعاد. وبعض النماذج المعقدة يحوي أكثر من ٣٠٠٠٠ خلية، مما يتطلب من المحاكي أن يجري سلسلة طويلة من العمليات الحسابية، وذلك لكي يظهر القيم الضرورية. وبتطبيق القوانين الخاصة بالرياضيات وغيرها من القوانين الفيزيائية، كمعادلات أولية متغيرة القيمة، يقوم المحاكي بحساب معدل الضغط في المكمن، ودرجة التشبع لكل من الزيت والغاز والماء، لكل خلية على حدة في النموذج منذ وقت اكتشاف المكمن. وعقب فترة زمنية محددة وبعد أن يتناقص معدل الضغط في المكمن مع توالي الانتاج، تجري تغذية النموذج بمعلومات جديدة من ضمنها معدلات انتاج البئر، حيث يقوم المحاكي بعملية جرد حسابية كاملة على شكل مجموعة جديدة من العلاقات الرياضية، التي تبين معدلات الضغط ودرجة التشبع في المكمن، ثم تنقل هذه المجموعة الرياضية على شريط مغناطيسي. وتسمى عملية تغذية النموذج

زياد لبان (الى اليمين) وعادل الناجي، (جالسا في الصورة)، وبوب ليوب (الى اليسار)، وهم جميعا يعملون بقسم نظم المحاكاة بادارة هندسة المكامن بارامكو كمحللين للنظم، وذلك أثناء تحليلهم لنتائج الضغط من خلال كشف محاكاة مكمن بترولي، على شاشة ملونة لحاسب آلي، سلسلة (IBM 7350)

بمعلومات جديدة بـ«خطوات الزمن — Time Steps » وهي تجرى منذ وقت اكتشاف المكمن حتى الوقت الحاضر وذلك لمعرفة معدلات الضغط ودرجات التشبع بالسوائل في المكمن، ومن ثم تتم مقارنتها بالمعلومات التاريخية المستقاة من أعمال المسح التي جرت فعلا على الطبيعة في المكمن. وفي حال حصول تناقص بين ما قد حدث فعلا في المكمن، وبين ما قد يكون النموذج قد افترض حدوثه، تجرى تعديلات مختلفة على النموذج، تطال الدالات الرياضية المتغيرة القيمة، مثل درجة النفاذية، والمسامية، وذلك لجعل النموذج أقرب التصاقا بالواقع الحقيقي لمكمن البترول نفسه.

ويحوي جهاز الرسوم البيانية بالحاسب الآلي عناصر تقنية متقدمة، فجهاز (IBM 7350)، والقناة الملحقة عبر وحدة التحكم الخاصة به، الى اطار الحاسب الآلي الرئيسي، يتضمن جهاز مراقبة للألوان ذا قدرة تحليلية عالية، مع توفر نظام الأبجدية الرقمية للتشغيل وغيرها من الأجهزة المساعدة المتقدمة. ويستطيع المهندس، بمساعدة تحليل الطيف الضوئي، الذي يجسد الكميات المتغيرة في المكمن، استعراض المعلومات التي يود الحصول عليها، عبر استخدام برنامج «سمبلوت» في المدة التي تغطي تاريخ انتاج أول بئر بترولية الى الوقت الحاضر، وكذلك توقع الحالات المستقبلية. كما توضح الرسوم البيانية، نتائج المحاكاة، بطريقة بسيطة وسريعة تسمح لمهندس المكامن بأن يطرح عددا من الأسئلة المتعلقة بمعدلات الانتاج، والضغوط، ودرجات التشبع، وربما يحصل على اجابة تشير الى أنه ينبغي في سنوات قليلة اضافة مرافق مناولة للزيت الخام الرطب، أو حقن الماء في المكمن للمحافظة على معدلات انتاج معينة مستقبلا. وخلاصة القول ان برنامج «سمبلوت» يوفر جميع المعلومات بطريقة اسرع من البرامج الأخرى المعاصرة، وقد تم تطويره محليا بادارة هندسة المكامن. وكما يقول بوب ليوب: «بواسطة هذا البرنامج يستطيع مهندس المكامن أن يقوّم المعلومات المتعلقة بالمكمن بطريقة أكثر تفصيلا من الطريقة التقليدية، وهو يحمل في ذهنه صورة جلية عن واقع المكمن».

## برج جديد لحفر وصيانة الآبار العميقة

وصل الى ميناء الجبيل البحري، في السابع من ديسمبر الماضي، برج الحفر «ار—٢٠٠٠» الذي يعتبر أضخم وأحدث ابراج الحفر العاملة في المملكة. وقد نقل البرج مباشرة الى موقع يبعد نحو ١٥ كيلومترا الى الشمال من البوابة الرئيسية في بقيق، وباشر الفنيون تركيبه واعداده فتم لهم ذلك في حوالي ١٩ يوما كانوا يعملون خلالها على مدار الساعة.

ومن الأبراج التسعة الموجودة في الحقول حاليا تمتلك ارامكو ثلاثة منها يعمل عليها موظفون تابعون لها. وأحد هذه الأبراج هو «آر—٢٠٠٠» الجديد. اما البرجان الآخران فهما منصة الحفر البحرية «ارامكو — ٢» العاملة في الخليج، والبرج «ن—٨٠

في ــ ٢» العامل في الربع الخالي. والبرج الجديد كما يقول عبداللطيف العرفج ــ ناظر قسم أعمال الحفر، اقدر من البرجين السابقين على حفر آبار أوسع وأعمق، حيث يمكن الحفر به الى عمق يتراوح بين ٦٠٠٠ و ٧٦٠٠ متر بعكس الأبراج الأخرى التي تحفر عادة الى عمق يتراوح بين ٣٠٠٠ و ٥٠٠٠ متر فقط.

وقد عمل البرج مبدئيا على البئر بقيق ــ ٢٦٤ الخاصة بحقن الماء وعمقها ٢٣٢٣ مترا، ثم انتقل الى منطقة عين دار، في حقل الغوار، ليعمل في بئر دون تكوين خف عمقها ٤٧٢٥ مترا.

غير أن طاقة هذا البرج ليست هي السبب الرئيسي لشرائه، ومع أنه يمكن استخدامه لحفر أي نوع من الآبار، الا أن الجزء الأكبر من استخدامه سيكون لحفر آبار استكشافية، وآبار للغاز في تكوين خف وصيانة الآبار الحالية وخاصة آبار الغاز في تكوين خف. فعند القيام بحفر وصيانة الآبار العميقة، يلزم استعمال معدات قوية وثقيلة مثل أنابيب التغليف المتنوعة التي قد يصل وزنها الى حوالي نصف مليون كيلوجرام. ونظرا لضخامة معدات

يرتفع برج الحفر «آر ــ ٢٠٠٠» حوالي ٥٤ مترا، ويبلغ ارتفاع منصة الرقابة فيه حوالي ١١ مترا تقريبا، وهي أعلى منصة مراقبة في جميع ابراج الحفر العاملة في المملكة.

البرج الجديد، فان العمل سيكون أسهل مما كان عليه الحال في برج الحفر «يو ــ ١» القديم الذي حل البرج الجديد مكانه. فطاقة برج الحفر «آر ــ ٢٠٠٠» تبلغ ألفي حصان في حين أن طاقة برج الحفر «يو ــ ١» تبلغ ١٢٠٠ حصان فقط. كما أن طاقة مضخات البرج الجديد تبلغ ١٧٠٠ حصان لكل منها، وطاقة شبكة طين الحفر تصل الى أكثر من ١٣٥٠ برميلا مقابل ٩٠٠ برميل في برج الحفر «يو ــ ١». كذلك يبلغ اجمالي طاقة محركات الديزل الأربعة في البرج الجديد ٣٦٠٠ حصان آلي.

وبطبيعة الحال، لم تكن ارامكو بحاجة الى مثل طاقة هذا البرج قبل عشرين عاما، ولم تكن كذلك حتى بدىء بتطوير برنامج انتاج الغاز من تكوين خف لمساندة منتجات الغاز المرافق للزيت الخام.

## ارامكو تسجل رقما قياسيا في سرعة حفر آبار الغاز في تكوين خف

سجل رجال الحفر في ارامكو رقما قياسيا في حفر آبار الغاز في تكوين خف، خلال شهر ديسمبر من العام الماضي، حيث حفروا بئر العثمانية ــ ٦٣١ خلال ٨٤ يوما. وهو رقم يقل يوما واحدا عن الرقم القياسي الذي سبق تسجيله في سبتمبر الماضي عند اتمام حفر البئر شدقم ــ ٢٣٨.



ملاحظ الحفر، ابراهيم الناصر، أثناء تشغيل جهاز الحفر على بئر العثمانية ــ ٦٣١ الخاصة بانتاج الغاز.


جانب من موقع الحفر في بئر العثمانية ـــ ٦٣١، حيث تجري ازالة الشوائب من طين الحفر قبل اعادة استعماله.


جهاز خاص لمعرفة وزن طين الحفر، وهو أسلوب ضروري لتقرير خصائص الطين والتأكد من صلاحيته لعملية الحفر.

وهذا هو الرقم الثاني الذي يتم تسجيله في مشروع يهدف الى معرفة أسرع الأساليب وأقلها تكلفة لدى الحفر في تكوين خف. وكان من المحتمل أن تتم العملية خلال ٧١ يوما فقط، لو لم يعلق المثقب الماسي على عمق ٣٨٠٠ متر. فقد عمل رجال الحفر وموظفو أعمال صيانة الآبار ١٣ يوما في الحفر حول المثقب وتعديله حتى أتموا انجاز حفر البئر الى عمق ٣٩٥١ مترا في العاشر من ديسمبر الماضي.

وعلى الرغم من الحاجة لاعادة الحفر فان عملية حفر بئر العثمانية ـــ ٦٣١ قد استغرقت ساعات تقل بنسبة ١٢,٧ في المائة عما استغرقته عملية حفر البئر شدقم ـــ ٢٣٨ الى عمق ٤١٣٣ مترا.

وكان آخر رقم قياسي في الحفر في تكوين خف هو الذي سجل في بئر العثمانية ـــ ٦٢٢ الذي تم انجازه في يونيه ١٩٨٦، خلال ٩٤ يوما. وكان متوسط الحفر قبل ذلك يستغرق حوالي خمسة أشهر، كما يقول ملاحظ الحفر، جواد المطر.

والحفر في تكوين خف عملية جديدة، نسبيا، لارامكو. والأرقام الجديدة في سرعة الانجاز حاليا تعود الى الخبرة المكتسبة من خلال أعمال الحفر السابقة واختيار المثاقب والطين والاسمنت والأساليب الفنية الأخرى.

إن السرعة في انجاز حفر الآبار، بالاضافة الى العوامل الاقتصادية الأخرى، يمكن أن توفر مبالغ كبيرة بالنسبة لمشروع تبلغ تكاليفه عدة ملايين من الريالات. فتكاليف عمل جهاز الحفر في الساعة تبلغ ٣٧٥٠ ريالا، واذا ما أضفنا الى ذلك مصاريف النقل والمواد الأخرى فان المبلغ الاجمالي يصل الى نحو ١٨٧٥٠٠ ريال يوميا. والغاز في طبقة خف يستخرج مستقلا عن الزيت، ويستخدم كمساند للمنشآت التي تستخدم الغاز المرافق للزيت عادة.

وقد استطاع الفنيون العاملون على حفر بئر العثمانية ـــ ٦٣١ خفض تكاليف طين الحفر بشكل حاد باضافة أقل ما يمكن من المواد الكيميائية، وبموازنة ثقل الطين لانجاز الحفر بسرعة دون الاخلال بمعايير الضغط. وكانت تكاليف طين الحفر في بئر العثمانية ـــ ٦٣١ أقل بنحو ٤٠ في المائة من تكاليف الطين في بئر شدقم، وأقل بنحو ٣٠ في المائة من بئر العثمانية ـــ ٦٢٢.

ان طين الحفر الذي يمزج بدرجات متفاوتة تبعا لاحوال البئر التي يجري حفرها، يستعمل أيضا لتبريد المثقب وتزييته، وللمحافظة على ضغط السوائل في البئر، وكذلك اخراج المواد الناتجة عن عملية الحفر. في الآبار القياسية استعمل الحفارون انواعا من الطين توفر اللزوجة المطلوبة والخواص اللازمة لعملية الحفر.

كذلك اجريت اختبارات لتقرير انماط الحفر والضغط. فاستخدموا المثقب الماسي في حركة بلغت سرعتها ١٣٠ ـــ ١٤٠ دورة في الدقيقة في أعماق الصخور الصلبة، هذا بالمقارنة مع ٨٠ دورة في الدقيقة في الاحوال السابقة. كما جرى تشغيل المضخات، بأقصى طاقتها، للحصول على معدلات عالية في ضخ الطين وزيادة معدل الحفر.

وقد استخدمت عدة أساليب من أجل خفض التكاليف كاستعمال الاسمنت ممزوجا مع بعض المواد الكيميائية لزيادة حجمه وتقليل المستورد منه. كما اقام موظفو أعمال الحفر والصيانة خزانهم الخاص بهم لمزج الاسمنت والمواد الكيميائية، واستخدموا مضخاتهم الخاصة ايضا لضخ الاسمنت، مما ادى الى تحقيق خفض آخر في التكاليف. ويأمل الحفارون في تقليل مدة الحفر، مرة أخرى، بمعدل عشرة في المائة عما كانت عليه في ديسمبر الماضي، فهم يتعلمون من كل بئر يحفرونها ويطورون اساليبهم تبعا لذلك.

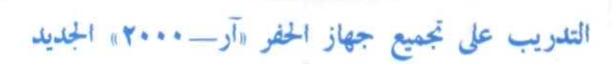


١



٣

٢



## التدريب على تجميع جهاز الحفر «آر ــ ٢٠٠٠» الجديد

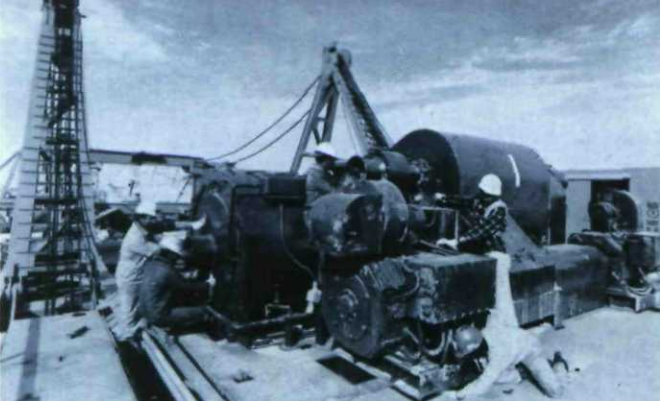
يعتبر جهاز الحفر «آر-٢٠٠٠» الذي تمتلكه ارامكو من أضخم وأحدث ابراج الحفر العاملة في المملكة العربية السعودية على اليابسة، ولهذا فهو يشكل تحديا مثيرا ليس فقط لأطقم الحفر المدربة القديمة، بل للمتدربين الجدد الذين يسعون الى اكتساب المهارات الفنية في مجال تجميع اجزاء ومعدات جهاز الحفر الجديد وكيفية تشغيله. فمنذ وصول هذا البرج الى ميناء الجبيل البحري في شهر ديسمبر الماضي باشر الفنيون باعداد خطة تدريبية يقوم بموجبها عدد من المتدربين على تجميع وتفكيك معدات جهاز الحفر الجديد. وقد أحرز المتدربون تقدما فائقا، عبّر عنه السيد عبداللطيف العرفج، ناظر قسم أعمال الحفر قائلا: انني فخور جدا بالنجاح الذي حققه طاقم الحفر الذي ضم تسعة متدربين اتموا مؤخرا، دورات تدريبية خاصة في مجال أعمال الحفر وصيانة الآبار. وقد علق «آرت ريكتور»، ملاحظ أعمال الحفر على كفاءة طاقم الحفر والمتدربين قائلا: لقد تم تجميع معدات جهاز الحفر «آر ــ ٢٠٠٠» دون مواجهة أية مشكلة ودون وقوع أي حادث يذكر. وأثنى «تشك ارمسترونج» المدرب على أعمال الحفر وصيانة الآبار على العمل الرائع الذي قام به المتدربون الذين عملوا جنبا الى جنب مع فريق الحفر. لقد أمضى هؤلاء المتدربون نحو ثلاث سنوات في التدرب على أعمال الحفر وصيانة الآبار ولكنهم لم يشتركوا اشتراكا فعليا في تجميع أجهزة الحفر الا بعد أن وصل جهاز الحفر الجديد «آر ــ ٢٠٠٠»، الذي جلبته

١ ــ رافعة خاصة تقوم برفع اجزاء جهاز الحفر الجديد «آر ــ ٢٠٠٠» وقد حل محل جهاز الحفر القديم «يو ــ ١» الذي قام بحفر أول بئر في عام ١٩٦٧م.

٢ ــ المتدرب حمد الشمري يعمل على فحص الخطوط الكهربائية لجهاز الحفر الجديد.

٣ ــ يتسلق المتدربون السلالم للوصول الى تاج جهاز الحفر القائم ويبلغ ارتفاعه ٥٤ مترا.

ارامكو خصيصا لحفر الآبار العميقة التي يتراوح عمقها بين ٦٠٠٠ و٧٦٠٠ متر. ومن بين الأعمال الروتينية التي يضطلع بها العامل على جهاز الحفر، انزال واخراج كلاّبات تثبيت أنابيب الحفر، وتشحيم معدات السحب، ومزج سوائل الحفر الى غير ذلك من أعمال، مع مراعاة اصول السلامة في تأدية تلك الأعمال. ويهدف برنامج التدريب الى اعداد المتدربين للاضطلاع بمهام ادارة أجهزة الحفر وما يتصل بها من أعمال، وذلك بالتدرج في وظائف أعمال الحفر واكتساب المهارات التي تشتمل عليها كل وظيفة. ويضيف «تشك ارمسترونج» قائلا: لقد اثبت هؤلاء المتدربون قدرات عملية ناجحة على تجميع جهاز الحفر الجديد، ونحن نقوم بتقويم مهاراتهم بين الفينة والأخرى، توطئة لاعدادهم لشغل وظائف اعلى كمساعدي حفارين، وحفارين، ومساعدي ملاحظي أعمال الحفر، وهلم جرا.



المتدربون على أعمال الحفر وصيانة الآبار وهم «من اليسار»: حسين الفايز، ويوسف السويلم، وحامد الحامد، وابراهيم الشهاب، وحمد الشمري، يقومون بتفقد معدات السحب على جهاز الحفر «آر-٢٠٠٠» قبل رفعها الى سطح البرج.

البكرة المتنقلة التي تحمل كابلات الحفر أثناء عمليات الانزال والرفع.



منسق التدريب حبيب الحسن يشرف على بعض المتدربين وهم يقومون بتوصيل خطوط الضغط العالي لسوائل الحفر.

## تسجيل خصائص تكوينات الآبار

تم مؤخرا تنقيح برنامج تدريبي، للمشاركين في برنامج تطوير الكفاءات، بقسم وصف المكامن، بادارة هندسة المكامن بارامكو لاستيعاب الاعداد المتزايدة من المهندسين السعوديين المتخرجين.

وقد صمم هذا البرنامج في الأساس، لتعريف المتدربين المشاركين بجميع أوجه نشاطات وصف مكامن البترول، مع التركيز على التحليل الخاص باختبار خصائص تكوينات الآبار وتسجيلها.

ويقــول كانتي ديساي، منسق التدريـب: «ان تسجيلات خصائص تكوين الآبار، والاختبارات الأخرى التي تجرى في البئر، تعمل على قياس الخواص الطبيعية للصخور والسوائل وتسجيلها على عمق آلاف الأقدام تحت سطح الأرض في جميع آبار الزيت التابعة لأرامكو، سواء الواقعة في اليابسة، أو تلك الواقعة في المناطق المغمورة، منذ البداية حتى نهاية الحياة الفعالة للبئر. وتعتبر المعرفة النظرية الأساسية والخبرة التأويلية، في هذه الأعمال، مهمة جدا في عملية تعليم مهندسي البترول بأرامكو.»

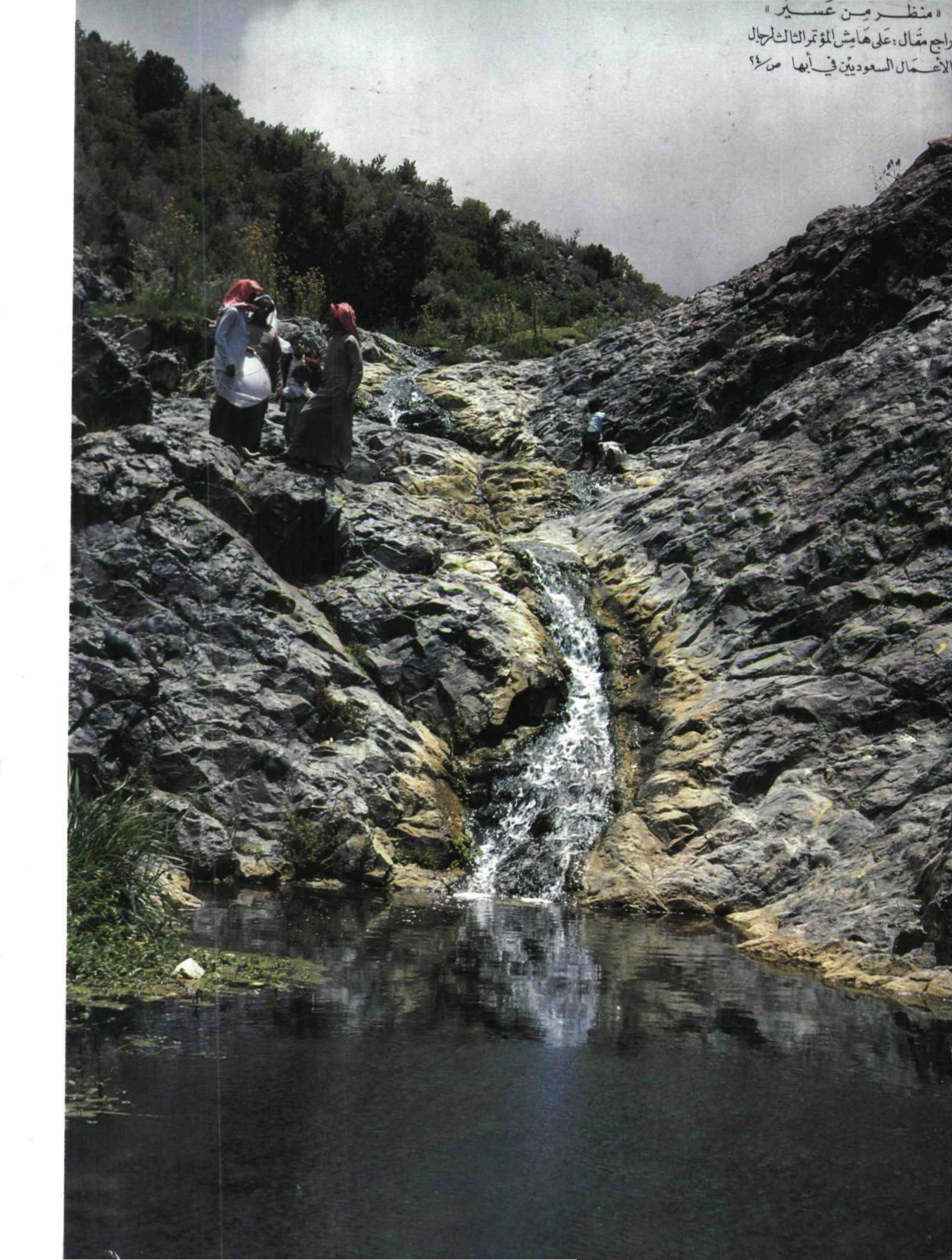
ومما يجدر ذكره أن بداية تاريخ تسجيل خصائص تكوين الآبار يرجع الى عام ١٩٢٠م، عندما أصبح بالامكان استعمال قياسات كهربائية في قاع البئر، لمقارنة الصخور الموجودة في بئر ما مع صخور بئر أخرى، لكي يتسنى معرفة تركيب طبقات ما تحت سطح الأرض، وبالتالي معرفة الأعماق التي يوجد فيها الزيت والغاز. وفي الوقت الحاضر، وبفضل توفر مجموعة متنوعة من السجلات، التي تعدها الحاسبات الآلية، أصبح بالامكان قياس وجود الزيت الأصلي والغاز في البئر، ورصد التغيرات بالآلات الحديثة الخاصة بتسجيل خصائص تكوين الآبار، وتقوم أجهزة اختبار الآبار الحديثة بقياس الضغوط ومعدلات التدفق. ويذكر بـل يونج بلـود، المستشار في ادارة هندسة المكامن: «ان تسجيل خصائص تكوين الآبار يوفر المعلومات الأكثر أهمية، للتحري عن وجود المواد الهيدروكربونية خلال حفر البئر، حيث تخبرنا عن وجود الزيت أو عدمه، وليس هناك وسيلة أخرى للنظر الى أسفل البئر غير هذه الطريقة.»

وتتكامل معلومات تسجيل خصائص البئر، مع المعلومات الجيولوجية، والجيوفيزيائية، والهندسية، لتقرير وجود.. وكميات المواد الهيدروكربونية. خاصة في الأماكن التي يجري التنقيب فيها لأول مرة، وهذه المعلومات التي توفرها هذه السجلات، تحدد الطبقات الجيولوجية المنتجة للمواد الهيدروكربونية، وتوفر بالاضافة الى عمليات اختبار الآبار، القاعدة الأساس لدراسات الجدوى الاقتصادية. كما تساعد هذه المعلومات الجيولوجيين والجيوفيزيائيين في اعداد الخرائط الهندسية والجيولوجية، ومهندسي الانتاج في مراقبة اداء البئر البترولية، وتؤلف المعلومات التي يتم الحصول عليها من خلال تسجيل خصائص الآبار، ومن خلال اختبار الآبار، سجلا دائما لتاريخ البئر، حيث تضاف الى أساس المعلومات المكثفة التي بحوزة ارامكو عن البئر □



تمرين تجريبي للانقاذ يجريه عدد من
أفراد إدارة الدمام للدفاع المدني

راجع مقال : الدفاع المدني ص/١٤



«منظر من عسير»

راجع مقال: على هامش المؤتمر الثالث لرجال
الأعمال السعوديين في أبها ص/٢٤